الموسوعة الصغيرة

٢٣

الاتصال والتغير الثقافي

هادي نعمان الهيتي

الموسوعة الصغيرة
٢٣



الاتصال والتغير الثقافي

هادي نعمان الهيتي

منشورات وزارة الثقافة والفنون
١٩٧٨ ——— الجمهورية العراقية

مقدمة

كانت الحركة الاستعمارية منذ بدء نشأتها قد اسبغت على بعض الافكار صفات علمية وطوعتها لتكون حججا لتبرير توسعها واستغلالها للشعوب المتخلفة .

وكانت في مقدمة ذلك الدعوة الزاعمة : ان بين الشعوب فوارق عنصرية او جنسية ، وان هناك شعوبا راقية جنسيا واخرى منحطة .

ولكن تلك الافكار التي احلتها الراسمالية العالمية في موضع النظريات العلمية الثابتة تبين بطلانها منذ حين ، حيث ثبت ان ما بين الشعوب من فوارق يعود في اصوله الى اسباب ثقافية بحتة .

وعلى هذا احتلت الثقافة الموقع الاول في حركة النمو وامسى التغير الثقافي الايجابي وحده السبيل الى تقدم المجتمع الانساني .

ويمثل التغير الثقافي اخطر ظاهرة واجهتها

الانسانية على مدى تاريخها الطويل ، وهي تواجهها، اليوم ، بشكل اعنف واعتى .

وفي هذه الدراسة الموجزة حاولنا تناول دور الاتصال في التغير الثقافي من وجهة نظر نرى فيها شيئا من الجدة : اذ اعتدنا ان نجد اكثر بحوث الاتصال تقصر اهتمامها على عمليات التغطية الاخبارية او نقل المعلومات ، وكان هذه العمليات تتم بشكل آلي معزول عن الحياة النفسية والاجتماعية للمجتمع .

لذا كان اهتمامنا في هذه الدراسة ، بدور الاتصال كجوهر للثقافة وكاداة للتغير الثقافي ، استنادا الى خصائص النفس الانسانية والشخصية الاجتماعية من جهة ، وخصائص الثقافة من جهة اخرى .

نامل ان تكون دراستنا القصيرة هذه فاتحة اهتمام اوسع بهذه الميادين الحية .

هادي نعمان الهيتي

الاتصال

الحقائق والآراء والافكار والمعاني والمهارات والتجارب والاحاسيس والاتجاهات وطرق الاداء المختلفة تنتقل من شخص الى شخص ، ومن جماعة الى جماعة ، ومن جيل الى جيل .

وهذه العملية المثلة بالنقل والتلقي هي ما يسمى بالاتصال .

ويؤلف الاتصال شكلا من اشكال العلاقات بين الناس ، واداة من ادوات المجتمع ، يربط بين افراده من خلال الثقافة التي تكون نسيجا يوحد بين افكار وعقائد وميول وانماط سلوك اعضاء ذلك المجتمع .

ومع أن الاتصال يستهدف ، في الاساس : المشاركة في الخبرة ، بحيث تصبح الافكار والمعاني والتجارب مشتركة او مشاعة بين اطراف العملية الاتصالية ، الا انه يؤدي ، في أحيان كثيرة ، الى التأزم والنفرة بين تلك الاطراف .

وعملية الاتصال تشبه عمليات التفاعل في الكيمياء ، فقد يؤدي ذلك التفاعل الى مركب جديد متماسك اذا كانت العناصر المتفاعلة ماخوذة وفق مواصفات محددة ودقيقة ، او قد يؤدي الى خليط غير متجانس لا يلبث ان يعود ، بعد حين ، بعملية بسيطة ، الى مكوناته الاولى المتباعدة ، حيث يظل كل عنصر فيه محافظا على خصائصه الرئيسة .

والاتصال الانساني قد يمضي على شكل جداول هادئة تنساب مياهها بدعة دون ان تبعث خريرا عاليا ، او قد يمضي على شكل سيول جارفة ولكنه في كلا الحالين ، غير قابل للخمود ، لانه عملية حتمية ، لابد منها ، وكل ما يقام من سدود للحيلولة دون سريانه تلاقي الانهيار بعد حين . ويذكر لنا التاريخ طرائف كثيرة عن محاولات لمنع انسياب بعض الافكار والاراء والعادات لم تلق غير الخذلان وما التنقيبات في قبور وبيوت القدماء على مر العصور ، الا بحث عن حقائق فات وصولها الى الاجيال اللاحقة .

ويعود الى الاتصال الفضل الاكبر فيما حققته الانسانية من تقدم على مدى الاحقاب . وما التاريخ البشري الا سلسلة من عمليات انتقال الافكار بين الافراد والجماعات والاجيال ، حيث انتقلت عناصر

الثقافة من بقعة الى اخرى ، كما انتقل استخدام المكتشفات والمخترعات ، واصبحت كثير من الاراء الشخصية آراء عامة .

ولو لا الاتصال بين الافراد لما وجدنا وشائج تربط بينهم ، ولما وجدنا مجتمعا انسانيا او ثقافة انسانية باي شكل من الاشكال ، ولامست حياة كل فرد وكل مجتمع معزولة عن الاخرى .

ولو لا الاتصال بين الاجيال لما وجدنا تراث الانسانية منثورا على المائدة الكبيرة مثل زاد تنتقي منه الاجيال المتعاقبة ما يلذ لها وتضيف اليه ، دافعة به نحو الثراء والتنوع .

ان احدا لا يستطيع ان يتصور الحالة التي تحياها الانسانية لو لم تكن هناك عمليات اتصالية .

ويبدو ان الاتصال كان اقدم اوجه نشاط الانسان ، حيث رافق الحياة الانسانية منذ نشاتها. ورغم انه اتخذ اشكالا تخلو من التعقيد ، في البداية، الا انه كان اساسا للعلاقات بين الافراد والجماعات الصغيرة ، وعاملا في التغيير الاجتماعي والثقافي . وهو اليوم ، باسسه ومبادئه ووسائله المعقدة اشد خطورة ، بسبب سمة التحولات التي تخطوها البشرية في الميادين المختلفة ، لانه كلما اتسعت

خطوات التغيير ازدادت الحاجة الى المعلومات والحقائق والافكار وطرق الاداء والخبرات التي لا تتوفر الا من خلال الاتصال ، فهو اداة من ادوات التغيير ووسيلة لضبط مساره .

والاتصال ، اليوم ، يشغل الحيز الاكبر من الحياة الانسانية ، حيث تتلقى الاذهان عن طريق البصر والسمع واللمس والشم والذوق فيضا لا ينقطع من الرسائل الاتصالية . وحتى لو عزل اي منا نفسه عن الاخرين ، فان وسائل الاتصال تتخطى الحجب لتطرق على احساساته ، واذا ما تهيا له لحين ان يحول دون ذلك ، فانه لا يلبث الا ان يمارس عملا اتصاليا مع نفسه فيما يسمى : بالاتصال الذاتي . اما حين يسود الصمت بين اثنين ، فان تطلع احدهما نحو الاخر يشكل نوعا من الاتصال .

وبسبب هذا الحيز الذي يشغله الاتصال في الحياة فان الناس يتطلعون الى يوم يكون فيه العالم قرية صغيرة[1] .

1. Dr. Harold A. Fisher, Lectures Nos. 7 and 8, M.A. Class, Cairo University P. 1, 1975 - -976.

ويلاحظ ان الناس يحبون ان يوصلوا ما يفكرون فيه وما يشعرون به الى الاخرين ، كما انهم يحبون ان يستقبلوا الاتصال من الاخرين[2] .

وبسبب الدور الذي يؤديه الاتصال في الحياة اصبح ما يتوفر للفرد او المجتمع من قدرة على الاتصال ، سواء كان مرسلا أم مستقبلا ام مرسلا ومستقبلا في آن واحد ، معيارا لفاعليته الاجتماعية.

مستويات الاتصال

يتخذ الاتصال مستويات عدة ، منها ما يكون بين الفرد ونفسه من خلال احساساته بمثيرات معينة تحفزه الى التخيل او التصور او التذكرة او التفكير. وهذا ما يسمى بالاتصال الذاتي
Intera personal Communication
ومنها ما يكون بين فرد وآخر «او بين فرد ومجموعة قليلة من الافراد» وهذا ما يسمى بالاتصال الشخصي Personal . ومنها ما يكون بين فرد او مجموعة من الافراد وبين جمهور يتميز بالكثرة ، وهذا ما

2. Juna E. Diaz Bordenave, Communication and rural development, P. 16. Belegium, 1977.

يسمى اعلاما ، او دعاية ، او حربا نفسية ، او انتشارا او غزوا ثقافيا ؛ حسب مضمون مادة الاتصال ، واسلوبها ، واهدافها ، ونظرة المرسل او المستقبل اليها .

والاتصال ، بوجه عام ، يكون مباشرا حين يتواجد المرسل الى جانب المستقبل او مجموعة المستقبلين دون استخدام قناة اعلامية او وسيط بين الطرفين ، حيث يكونان وجها لوجه . ويكون غير مباشر ، حين يستعين المرسل بوسيط لنقل رسالته الى الجمهور ، سواء كان ذلك الوسيط سمعيا ام بصريا ، ام سمعيا ـ بصريا في آن واحد .

وقد يكون الاتصال في اتجاه واحد ، حين لا يتسنى للمستقبل ان يشارك في العملية الاتصالية الا من خلال تلقيها ، كما هو الحال في الراديو والتلفزيون والصحافة والرسائل الخاصة . او يكون في اتجاهين ، حين يشارك المستقبل في المناقشة وابداء الراي في محاضرة او ندوة .

ومن حيث الجمهور ، يمكن ان نجد اتصالا محدودا ، وآخر غير محدود . حيث يتوجه الاول الى جمهور متجانس من حيث مستواه الثقافي ، كان يكون مجتمعا محدودا من صيادي السمك او

زارعي القمح . ويتوجه الثاني الى جمهور غير متجانس ، حيث تتواجد فيه مستويات ثقافية متعددة ، كما هو الحال في الصحف او البرامج الاذاعية والتلفزيونية ، والافلام ؛ ذات المضامين العامة .

والاتصال غير المحدود ، يتمثل في الغالب ـ في الاتصال الجماهيري ـ الذي يؤلف الاعلام ابرز عناصره ، وهو يخاطب جمهوراً واسعا ، ويعبر تعبيرا موضوعيا عن عقلية ذلك الجمهور ، وميوله ، واتجاهاته ، دون ان يكون تعبيرا ذاتيا عن عقلية وميول واتجاهات رجل الاعلام .

ولا ينطوي الاتصال الجماهيري على الاعلام وحده ، اذ قد يتخذ شكل دعاية ، او حربا نفسية، او اعلانا ، او تعليم

ولكل مستوى من مستويات الاتصال مزاياه وعيوبه ، وظروفه ، واهدافه لهذا تعمد مؤسسات الاتصال الى الاستعانة بهذه المستويات جميعها من اجل تحقيق الاهداف الموضوعة للاتصال .

فالاعلام يرمي الى ايقاظ وتنوير الناس من خلال تزويدهم بالاخبار والحقائق والمعلومات وما يدور من احداث ووقائع ، وبث الثقافة بين

صفوفهم(٢) . اما الدعاية فانها تستهدف التأثير في النفوس عن طريق تدبير اشاعة افكار ومعلومات محددة ، وهي تلجأ لتحقيق اهدافها ، احيانا الى الحذف والتشويه والكذب .

اما الحرب النفسية ، فمع انها لون من الوان الدعاية ، الا ان مرسلها يستهدف زلزلة الروح المعنوية للمستقبل ، وازالة صور الثقة بالنفس ، في فترات الحرب او الطوارىء او الصراع . اما غسيل المخ ، فان مصدره يرمي الى خلق شخصية جديدة للمستقبل تتصف بالتمزق او القلق او الجبن . وعمليات غسيل المخ ، تتجه ، عادة ، نحو شخص واحد او مجموعة قليلة من الاشخاص . ويرمي الاعلان الى الاحتفاظ بنصيب من السوق لبضاعة معينة او زيادته .

ومن جانب آخر ، فان التعليم ، سواء كان مدرسيا ام غير مدرسي، هو نمط من انماط الاتصال، ويتمثل في اكتساب المعلومات والخبرات واستخدامها لتعديل السلوك . ولكن هناك فرقا آخر يمكن ان يدخل ضمن التعليم ، اذ قد يتعلم الفرد معلومات او انماطا من السلوك غير مرغوب فيها ، يتعلم الكذب

(٢) هادي نعمان الهيتي ـ الاعلام العربي والدعاية الصهيونية (وزارة الاعلام ـ بغداد ١٩٦٩) ص ٢١ و ٨٨ .

او السرقة . وما الى ذلك : والتعلم الذي يندرج تحت هذا اللون لا يمثل تعلما تربويا .

وعلى هذا فان الاعلام والدعاية والاعلان والحرب النفسية وغسيل المخ والتعليم هي الوان من الاتصال ، لانها تنطوي على نقل وتلقي الافكار والخبرات ، وتستهدف احداث تغيير في سلوك الافراد . وسوف نرى ـ فيما بعد ـ ان كل عملية من هذه العمليات تتخذ لها نفس المراحل ، حيث . انها تبدأ بمنبه معين يثير احساس الفرد وتنتهي بالاستجابة له في موقف قد يكون سالبا ام موجبا .

وظائف الاتصال

للاتصال ، على مختلف مستوياته والوانه ، وظائف عديدة ، كما ان لكل عملية اتصالية مجموعة من الاهداف ، اذ يصعب ان تجد ظرفا اتصاليا لا هدف له .

ويحدد تعريف الاتصال القائل : «انه العملية التي بواسطتها تمر المعلومات والافكار والتوجيهات من خلال نظام اجتماعي ، والطرق التي تتكون او تعدل بها المعارف والآراء والاتجاهات(٤)» شيئا من وظائف الاتصال .

4. Juan E. Diaz Bordenave. P. 14.

ويعتبر الاسهام في البنيان الثقافي للمجتمعاول وظائف الاتصال . ولكن يمكن للاتصال ان يكون ـ من خلال بعض انماطه ـ اداة للتخريب النفسي ونشر الاكاذيب واشاعة المخاوف . ولكننا في دراستنا هذه نتناول الوظائف الايجابية للاتصال فقط .

ويمكن القول ـ استنادا الى ذلك ـ ان وظائف الاتصال تتخذ ـ في هذا المجال ـ جوانب عديدة ابرزها :

١ ـ اهداف معرفية : وتتمثل في نقل المعلومات والخبرات والافكار الى الآخرين ، بقصد ايقاظهم وتنوير عقلياتهم ، ورفع مستوياتهم الفكرية والعقائديةوالعملية ، وتكييفمواقفهم ازاء الحوادث والوقائع الاجتماعية ، وتحقيق تجاوبهم مع الاتجاهات الجديدة واكسابهم المهارات المطلوبة .

٢ ـ وظائف اقناعية : وتتضح مثل هذه الوظائف حينما يكون القصد من الاتصال احداث تحولات في وجهات نظر المجتمع حول حدث او مجموعة من الاحداث ، او فكرة او مجموعة من الافكار .

٣ ـ وظائف ترويجية : وتتمثل في سعي

وسائل الاتصال للترويح عن نفوس الناس وادخال السرور الى نفوسهم من خلال الوان فنية متعددة .

٤ ـ ضمان المشاركة الثقافية : وهذه الوظيفة قد تتسع في معناها لتشمل وظائف الاتصال جميعا ، وتتمثل ، في الاساس ، في نقل التراث الثقافي من جيل الى جيل ، ومن فرد الى فرد ، ومن مجتمع الى مجتمع ، وتهذيبه ، وتطويقه ، والاضافة اليه ، لتكييفه مع الاهداف الاجتماعية الجديدة ، وليكون اداة في التغيير .

والمعروف انهلكي تكون هناك ثقافة ،لابد ان يكون هناك ناقلون لها ، يوصلونها بين الاجيال والافراد والجماعات بغية توفير وضوح الرؤية لهم ، وبث الشعور بالمسؤولية بينهم ، وتنمية القدرة على تحملها ، واستثارة طاقاتهم ، وتنمية روح التعاون وبلورة اهتمامات مشتركة بينهم ، لخلق نسيج اجتماعي متماسك يجمع بين عناصره وحدات ثقافية وانماط سلوك مشتركة .

والاتصال يقيم ، في العادة علاقات اجتماعية جديدة ، فعند اتصال فرد بآخر او مجتمع بآخر او جيل بآخر ، فان علاقة ما وبشكل من الاشكال ، تظهر بينهم ، قد تنجم عنها مشاركة في الراي

والمعتقد والهدف ، وبالتالي يتهيأ لهم التفاعل مع واقعهم للعمل على التحرك والتغيير .

٥ ـ تنمية القدرة على التقمص الوجداني :

ويعني التقمص الوجداني قدرة الافراد والمجتمعات على تصور انفسهم في مواضع الآخرين، بحيث يتهيا لهم ان يغيروا من واقعهم الاجتماعي والثقافي على هدي تصوراتهم الايجابية الجديدة . وسنرى ان الاتصال يلعب دوره البارز في تنمية القدرة على التقمص .

وعلى هذا فان الاتصال ليس مجرد وسيلة للتغطية الاخبارية او نقل الافكار ، بل هو اداة لتكوين ثقافة المجتمع والارتفاع بمستواها وتشكيل شخصية الفرد والمجتمع ، وتطوير قدرات الانسان وتنمية شعوره بالمسؤولية ، وبث روح العمل ، وايجاد انماط سلوكية تتواءم ومتطلبات الحياة الجديدة .

وحيث ان عناصر الثقافة التي يتولى الاتصال نقلها واشاعتها بين الناس متعددة ومتشعبة ، لذا فان من الخطأ الجسيم ان يقصر الاتصال مساعيه على جوانب منها دون اخرى ، لان تغييرا في عنصر دون آخر قد يؤول الى تخلف ثقافي .

ويلاحظ ـ للاسف الشديد ـ ان اجهزة الاعلام في بعض الدول النامية تركز طاقاتها على النواحي السياسية ، ولا جدال ان فترة التحول وتدعيم الاستقلال يحتاجان الى مثل هذا التركيز ، بيد ان اغفال الجوانب الاخرى يلحق ضررا بليغا حتى بالناحية السياسية ذاتها(٥) .

وهنا لابد من الاشارة الى ان اخطر ما يهدد وظائف الاتصال هو انحرافه عن الاهداف الرئيسة في احداث التغيير في الشخصية الانسانية ، بما يهيء لها الاسهام الفعال في الحياة . ويلاحظ في كثير من بلدان العالم النامية . ان الاتصال قد اتخذ وسيلة للتباهي بالمشروعات والمفاخرة بالمنجزات تاركا خلف ظهره مهماته الاساسية في البناء الانساني .

ومن الاخطار الاخرى التي تواجه الاتصال ، هو ان تتحول اجهزته الى ادوات لتلقين الناس مفاهيم وتعابير والفاظا ، دون ان تثري ثقافتهم ، ودون ان تتحول مدلولاتها الى انماط سلوكية ، بل تظل مجرد كلمات جوفاء .

---

(٥) شاكر ابراهيم ـ الاعلام ووسائله ودوره في التنمية الاقتصادية والاجتماعية ـ ص ٢٠٥ ـ مالطا ، فاليتا ، مؤسسة آدم ـ ١٩٧٥ .

ونشير هنا الى داء يسمونه «داء اللفظية» ويتمثل في الترديد الاجوف للالفاظ والعبارات والمفاهيم دون ان ينعكس في واقع الحياة الى تفكير وسلوك .

وحين تنتشر هذه الظاهرة بين افراد مجتمع من المجتمعات ، فانها تعني ان ما تبذله اجهزة الاتصال من جهد ومال ووقت في مثل هذا التلقين لا يعود بفائدة تذكر . كما تعني احتمال عدم قدرة هؤلاء الافراد على حسن التكيف او على القيام بادوارهم الاجتماعية بشكل سليم ، مما قد يؤدي الى حدوث مشاكل اجتماعية خطيرة[٦] .

× × ×

والتقسيم الذي اوردناه لوظائف الاتصال يبدو وكانه تقسيم آلي ، اذ ان اية عملية اتصالية لا يمكن تفكيك هدفها الى اجزاء متناثرة ؛ ما دامت تضم الى جانب الهدف المركزي اهدافا فرعية .

وهناك تقسيمات لوظائف الاتصال تبعا للموضوع ، كان يكون هناك اتصال سياسي وآخر فني وثالث اخباري ... ولكن هذه الجوانب في

(٦) محمد محمد عطية ــ التربية والارشاد في الخدمة الاجتماعية ص ٩٤ القاهرة ــ مكتبةالانجلو المصرية ١٩٦٦ .

واقع الحال ليست الا عناصر يمكن ادراجها جميعا ضمن معنى الثقافة .

وعلى اية حال ، فان الوظيفة المركزية لاية عملية اتصالية تتضح ، في اطارها العام ، من خلال النمط الاتصالي الذي تتخذه ، وقد وجدنا ان هناك فروقا بين الاعلام والاعلان والدعاية والحرب النفسية .. ولكن المشكلة الكبرى ان هناك انماطا مقنعة ليس سهلا التعرف اليها .

ووظائف الاتصال يمكن النظر اليها من وجهتي نظر مختلفتين ، اولاهما : وجهة نظر المرسل ، وثانيهما : وجهة نظر المستقبل او الجمهور . فالجمهور في مجتمع اشتراكي ينظر الى ما يوجه اليه من عمليات اتصال معادية للاشتراكية على انها دعاية او حرب نفسية او غزو ثقافي ، في وقت ينظر فيه جمهور من بلد راسمالي الى تلك العمليات على انها اعلام .

ومفهوم وظائف الاتصال نمت من ملاحظة ان الناس يستخدمون الاتصال لانه ينجز لهم وظائف معينة ، فهم يستمعون الى الاذاعة ، ويقراون الصحف ، ويحضرون الندوات ... ليس لان هناك مصدرا خارجيا يريد ان يوصل اليهم شيئا ما ،

بل لانهم انفسهم يشعرون بان وسائل الاتصال تشبع وترضي بعض احتياجاتهم . ومن الواضح ان الاتصال يؤدي وظائف مختلفة للافراد المختلفين ، فشخص ما قد يستمع الى الاذاعة ليحصل على معلومات مفيدة ، بينما يستمع شخص آخر اليها ليشعر بروح الالفه التي يمنحها له صوت المذيع .. وهكذا[٧] .

وبوجه عام فان ما يستهدفه المرسل في عملية اتصالية قد لا يستهدفه المستقبل من استقباله للاتصال .

ونميز ، فيما يلي ، بين اكثر مستويات الاتصال شيوعا وهما الاتصال الشخصي والاتصال الجماهيري ، ودور كل منهما في اداء الوظيفة الاتصالية :

الاتصال الشخصي والاتصال الجماهيري

كان الاتصال الشخصي ، حتى وقت قريب ، وسيلة رجال الاتصال في المجتمعات البدائية لنقل عناصر الثقافة اليها وتحريك حياتها الاجتماعية .

7. Juan E. Diaz Bordenave, P. 15.

وقد اثبتت كثير من البحوث الحديثة ان الاتصال الشخصي له دوره الكبير في جميع المجتمعات، سواء اكانت بدائية ام نامية ام متقدمة . ويذهب الكثيرون الى أن تاثيره يفوق تاثير الاتصال الجماهيري لانه يتيح الفرصة للتجاوب الذي يمهد لتبني الفكرة او المهارة او المعلومة ، اضافة الى :

١ ـ يتهيا لرجل الاتصال الشخصي خلال مناقشاته مع الجمهور المحدود ان يبدي آراءه ، ويؤقلم حججه ، ويكيف مواقعه وفقا لطبيعة الجمهور ، وقدراته العقلية واتجاهاته الفكرية .

اما في الاتصال الجماهيري فان فرص ابداء الراي والمناقشة او الاستيضاح المباشر غير متوفرة، لذا يقال ان الاتصال الشخصي يمتاز بتعديل الوسائل المتبادلة على ضوء رجع الصدى Feed back من المستقبل الى المرسل في الوقت الذي تفتقر فيه وسائل الاتصال الجماهيري الى هذه الميزة الكبيرة ، رغم انها تحاول التعريض عنها بدراسات تجريها على الجماهير لمعرفة ميولها واتجاهاتها ، كما تعني بتحليل

رسائل المستمعين او المشاهدين او القراء ، وتعنى بالنقد الذي تنشره الصحف عنها[٨] .

ومن جانب آخر فان الاتصال الشخصي يساعد من خلال تبادل الآراء والافكار بين المرسل وجمهوره على ازالة ما يحدث من اخطاء في فهم الجمهور ، بسبب ما قد ينطوي عليه الحديث من ابهام .

٢ ـ يتوفر في الاتصال الشخصي احتمال كبير للتصديق والثقة . بسبب طابع المواجهة الذي يتميز به ، حيث يتولى القيام بالارسال فيه ، في الغالب ، اناس يتمتعون بثقة الجمهور .

٣ ـ يكون احتمال تجاهل عمليات الاتصال الشخصي اقل ، حيث يستطيع الكثيرون العزوف عن القراءة او الاستماع الى الراديو او مشاهدة التلفزيون بينما يقل هذا الاحتمال في الاتصال الشخصي .

ويلاحظ ان بعض البلدان النامية عنيت بوسائل الاتصال الجماهيري فقط ، متجاهلة دور الاتصال الشخصي ، في الوقت الذي تؤكد البحوث المختلفة بهذا الصدد ان الاتصال الجماهيري لا يمكن

(٨) د . ابراهيم امام ، الاعلام والاتصال بالجماهير ، ص ٢٩ القاهرة ١٩٧٥ .

ان يؤدي دورا فاعلا ما لم تلازمه الوان من الاتصال الشخصي التي تقوم على المواجهة المباشرة .

ويلاحظ اليوم ان الاحزاب السياسية في جميع انحاء العالم تعتمد اعتمادا كبيرا على وسائل الاتصال الشخصي في كسب المؤيدين .. وتؤكد بحوث الاعلام في البلدان الاشتراكية على ضرورة الجمع بين الاتصال الشخصي والاتصال الجماهيري لنقل الافكار الى الجماهير[٩] .

ويسهم الاتصال الشخصي في تعليم الجمهور كيفية استخدام وسائل الاتصال الجماهيري ذاتها او تطوير عاداتهم في الاستماع والمشاهدة ، وقد جاء في بعض البحوث بهذا الصدد عن المناطق التي دخلتها وسائل الاعلام حديثا ان الجماهير فيها تعطي اهتمامها بدرجة واحدة الى كل مادة تقدم من خلالها ذلك لان تجربة التعرض لوسائل الاعلام هي تجربة جديدة فيها . ولا شك ان الجماهير بعد ان تجد نفسها في هذا الموقف الذي تحتشد فيه من حولهم رسائل اتصالية كثيرة ، يضطرون ، شعوريا او لا شعوريا ، الى العزوف عن التلقي ، لذا كان ضروريا

(٩) د . عواطف عبدالرحمن ـ محاضرات في الرأي العام والدعاية ـ ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ ص ٢٦ . مطبوعة بالرونيو .

تطوير تقاليد تلقي الرسائل الاتصالية من خلال وسائل الاتصال الجماهيري .

ويتخذ الاتصال الشخصي انماطا متعددة منها التعليم المحدود في حجرات الدراسة مثلا ، او الارشاد الزراعي في الحقل ، او الاعلام المحدود من خلال الندوات والاجتماعات والمحاضرات، او عمليات غسيل المخ ، وما الى ذلك .

اما الاتصال الجماهيري Mass Communication فانه ينطوي على نقل الاخبار والافكار والمهارات الى جمهور كبير من الناس من خلال وسائل الاعلام كالاذاعة والتلفزيون والصحافة والكتب والافلام . ويتخذ له انماطا متعددة .

وقد اشرنا الى وجوب تلازم الاتصال الشخصي مع الاتصال الجماهيري ، لان احدهما ، يكمل الآخر . فبعض المعلومات والافكار والمهارات قد تفهم من خلال وسائل الاتصال الجماهيري فهما خاطئا ، او على الاقل هناك قطاع من الجمهور يفهمها بصورة ناقصة او مشوهة ، مما يستلزم اسهام الاتصال الشخصي في ازالة ما قد يحدث من التباسات .

وهناك نقطة اخرى على جانب من الاهمية ، وهي : ان تاثر الجمهور بالاتصال الجماهيري لا يتم

بصورة مباشرة اذ وجد الباحثون ، انه يتم على مرحلتين ، حيث يتاثر به ، في البداية ، قطاع صغير فقط ، وهؤلاء بدورهم يقومون بنقل ذلك التاثير الى عامة الجمهور . ويطلق على اولئك الذين يتاثرون بوسائل الاتصال الجماهيري مباشرة باسم : قادة الراي .

عناصر الاتصال

الاتصال الشخصي والجماهيري من العمليات المعقدة التي تستوجب توفر كثير من المهارات والخبرات والامكانيات . منها ما يتعلق بالمرسل (سواء اكان فردا واحدا او هيئة) وبالمستقبل (سواء اكان فردا ام مجتمعا صغيرا ام جمهورا واسعا) وبالوسيلة المستخدمة في النقل (سواء اكانت كتابا ام صحيفة ام اذاعة ام فلما) . يضاف الى ذلك ما يتعلق بالرسالة الاتصالية وشكلها ومضمونها . وعناصر الاتصال تشتمل على المرسل والمستقبل والوسيلة والرسالة الاتصالية .

مقومات الاتصال الفعال

رغم ما تتميز به عمليات الاتصال من تعقيد ، ورغم ما يعتريها من معوقات ، الا انه يمكن التخطيط

له بحيث يضمن تأثيرا اكثر عليه من خلال مجموعة من الاسس ، يمكن ان نجمل ابرزها في :

١ ــ تحديد الهدف :

نحن نعلم ، ان اية عملية اتصالية تنطوي على هدف مركزي واهداف اخرى فرعية . وتحديد الهدف الرئيسي هو ضرورة اساسية ، لانه يهيء للقائم بالاتصال الخطوة الاولى لتخطيط سليم للعملية .. فقد يكون الهدف المركزي نشر مجموعة من الاخبار ، او توصيل مجموعة من الخبرات ، او تغيير اتجاهات او عادات معينة ، او تكذيب اشاعة . وتحديد الهدف لا يساعد على حسن اختيار الوسيلة فقط ، بل يساعد على وضع الرسالة بصيغة مناسبة.

٢ ــ تحديد الجمهور :

وتحديد الجمهور الذي يتلقى الرسالة الاعلامية ضرورة اخرى للتخطيط للاتصال الفعال . لان شكل ومضمون الرسالة يخضع لكثير من الخصائص الثقافية والنفسية للجمهور . فالجمهور هو الذي يتلقى الرسالة ويفك رموزها ويحولها الى صور ذهنية ، وحين تكون هذه الصور الذهنية مطابقة لتلك التي كانت في مخيلة المرسل ، فأن هذا

يعني ان نقل الرسالة قد تم بشكل سليم وفي احيان كثيرة تتكون لدى الجمهور صورة مغايرة للاصل ، ويرجع ذلك الى اسباب عديدة في تناسبها مع الجمهور من حيث مستواها اللغوي او الفكري او الثقافي او طبيعته النفسية .

وهذا يفرض ان يكون القائم بالاتصال على بينة من الجمهور وعلى صلة وثقى به وبثقافته . وان تكون الثقة قائمة بينهما .

٣ ــ اختيار الوسيلة المناسبة :

ان الرسالة الاتصالية بما تنطوي عليه من معلومات ومهارات وافكار هي في ذهن المرسل اولا ، ولا يمكن وصولها الى المستقبل ما لم تتم عملية الاتصال عبر وسيلة من الوسائل. لذا يتولى المرسل صياغة تلك الرسالة على شكل رموز او اشارات مناسبة يستطيع المستقبل تلقيها وادراكها وتفسيرها، ومن ثم اتخاذ الموقف بشأنها ، اما بتبنيها او رفضها.

وقد تكون اللغة او الرموز مباشرة وقد تكون من خلال وسيلة ، كما هو الحال في الاتصال الجماهيري .

ولكل وسيلة مجموعة من المزايا والعيوب ،

كما ان لكل وسيلة ظروفها وامكانياتها ؛ لذا فان اختيار الوسيلة لابد ان يتم بعناية كبيرة .

وتعتمد الوسيلة المستخدمة على طبيعة الرسالة المطلوب توصيلها ، وطبيعة الجمهور نفسه.

٤ ـ تحديد الظرف المناسب :

لضمان خطة للاتصال الفعال لابد من مراعاة الظروف المناسبة للاتصال ، وينطوي تحت ذلك مراعاة الوقت المناسب للجمهور ، والحالة النفسية وخاصة المزاجية له ، والظروف الاخرى كفترات الحرب او الصراع او الاستقرار او الجمود ، لان هذه الظواهر تخلق ظروفا نفسية واجتماعية معينة لها تاثيرها في العمل الاتصالي

٥ ـ تقييم تاثير الاتصال :

ان دراسة تاثير الاتصال في الجمهور هو جزء لا ينفصل عن العمل الاتصالي ، لذا فان اجهزة الاتصال تقوم بين فترة واخرى ، وفق طرق البحث في الاعلام والراي العام ، بتقييم للنتائج الناجمة عن الاتصال . وهذه الخطوة لا تمد رجال الاتصال بنتائج اعمالهم فحسب ، بل تجعلهم على بينة بالعوائق والاخطاء التي تعتور العملية الاتصالية وتهيء لهم سبلا اكثر فاعلية في التاثير .

عوائق في طريق التاثير الاتصالي الفعال

يتاتى التاثير الاتصالي من جملة عوامل متداخلة ومتشابكة منها ما يرتبط بالمرسل ، ومنها ما يتعلق بالمستقبل .

ولكل عنصر من هذه العناصر مشكلاته وظروفه التي تقف بعضها كمعوقات للتاثير الاتصالي الفعال .

وعلى هذا ، فان هذه المعوقات تتمثل في جوانب بشرية ، واخرى فنية ، وثالثة موضوعية .

وسوف نتناول المعوقات البشرية عند حديثنا عن سيكولوجية الاتصال ، اما المعوقات الفنية والموضوعية فان تناولها سيرد ضمنيا في مباحث متعددة من دراستنا هذه .

المعلومات السيكولوجية والثقافية للاتصال

الاتصال عملية معقدة ، لاعتماده على التكوين النفسي والعقلي والثقافي والاجتماعي للافراد والجماعات . وقد اثبت علماء الاتصال ان العمليات الاعلامية لا تزداد فاعلية وتأثيرا من خلال تعددها الكمي او وفرة المضامين التي تقدمها ، بل من خلال التغلب على بعض الحواجز النفسية والثقافية في المجتمع ، حيث ان الاتصال ليس مجرد نقل آلي للافكار والاراء والخبرات ، بل هو عملية تفاعل بين العناصر النفسية والثقافية في المجتمع . والتاثير الاعلامي هو تحقيق لذات الفرد ولشخصية المجتمع.

والتلقي الاتصالي ، ليس تقبلا سالبا ، بل هو تعامل ايجابي نشيط يتاثر بالتكوين النفسي والتكوين الثقافي للافراد والجماعات ، لذا تلعب الحوافز والدوافع والاستعدادت والميول والتقاليد والاتجاهات والقيم دورا بالغا فيه .

ويرى علماء النفس ان اولى عوائق وصعوبات الاتصال تنتج عن اختلاف الافراد في السمات الفردية ، كالذكاء والقدرات الخاصة والاستعدادات وصفات الشخصية في الوقت الذي يرى فيه علماء الاجتماع : ان خصائص الشخصية الاجتماعية وعناصرها الثقافية اثرا كبيرا في تلك الصعوبة .

اما رجال الاعلام ، فيرون اضافة الى ذلك : ان صياغة الرسالة الاعلامية واستخدام الوسيلة ، وطبيعة الجمهور ، تؤلف مشكلات اساسية في العملية الاتصالية .

ولا نجد ، في واقع الحال ، تناقضا في المواقف بقدر ما نجد اجماعا على ان للعمل الاتصالي اسسا وقواعد تستمد اصولها من العلوم الانسانية المختلفة سواء كانت اجتماعية ام نفسية ام اعلامية .

ولكي نتفهم اثر تلك الاسس في العمل الاتصالي ، لابد ان نتتبع ، اولا ، مراحل العملية الاتصالية .

مراحل العملية الاتصالية

اجمعت الدراسات الاتصالية ان الفرد ، لكي يتبنى فكرة معينة او يصل الى ممارسة مهارة جديدة ، فانه يمر بعدد من الخطوات لكل خطوة

منها ، ابعادها النفسية والعقلية والثقافية . ورغم اختلاف الباحثين في وضع التسميات لكل مرحلة ، الا انها ، في الواقع ، تؤلف ـ من الناحية النظرية ـ سلسلة مترابطة واحدة . وهذه المراحل هي [1] .

١ ـ مرحلة الاحساس بالفكرة او ادراكها
Awareness stage

يستقبل الفرد الافكار والمعلومات والخبرات والمؤثرات الاخرى عن طريق حواسه المختلفة . وحين يعيها ، فانه ـ في الغالب ـ يشعر بحاجة الى مزيد من المعلومات عنها . وبذا تشكل هذه الخطوة

---

(1) لاحظ :

ا ـ الريت م . روجرز ـ الافكار المستحدثة : وكيف تنتشر . ترجمة سامي ناشد ـ القاهرة ـ عالم الكتب .

ب ـ صلاح الدين عبدالحميد محمد ـ اثر الاعلام على الكفاية الانتاجية في الوحدات الصناعية ـ رسالة ماجستير من جامعة القاهرة عام ١٩٧٤ غير منشورة

ج ـ محمد منير محمد صابر صحاب ـ دور الصحف اليومية في نشر الاساليب الزراعية . رسالة ماجستير . جامعة القاهرة ١٩٧٤ غير منشورة .

د ـ د . احمد الخشاب ود . احمد النشلاوي ـ المدخل السسيولوجي للاعلام .

مدخلا للسلسلة الطويلة التي قد تنتهي تبني الفكرة الجديدة او تصديق المعلومة او رفضها .

ومرحلة الاحساس بالمنبه قد يكون عفويا ، وقديكون مقصودا ، ولكن متابعة الفرد للخطوات التالية قد لا تتم ما لم يحفزه نحوها دافع شعوري او لا شعوري .

٢ ـ مرحلة الاهتمام   Interest stage

وهي مرحلة مكملة للاولى ، حيث يصبح الفرد فيها اكثر امتزاجا من الناحية النفسية بالفكرة او المعلومة او الخبرة ، فيبدأ بالتعرف على دقائقها ، ويسعى الى تنمية معارفه عنها ، كما يحاول تحديد درجة الفائدة منها ، ويسمي علماء الاجتماع الريفي هذه المرحلة بمرحلة : الاهتمام وجمع المعلومات .

٣ ـ مرحلة التقييم   Evaluation stage

وفي هذه المرحلة ، يحاول الفرد ان يقارن بين وضعه الراهن وبين وضعه الجديد فيما لو تقبل الفكرة الجديدة ، اذ هو يمارس تطبيقا عقليا وعاطفيا على موقعه في الوضعين في محاولة لاتخاذ قراره بشأن تجربته لتقبل الفكرة ام العزوف عنها .

ويلوح للفرد في هذه المرحلة ان الفكرة الجديدة قد تنطوي على خطر ذاتي ، لذا فهو يميل الى منبهات اخرى من خلال وسائل الاتصال الاخرى ليزداد اقتناعا بموقعه واختيار الاحتمال المناسب .

٤ ـ مرحلة التجريب Trial stage

في هذه المرحلة يعمد الفرد الى اختيار الفكرة الجديدة عن طريق استخدامها على نطاق محدود يحدد جدواها في ظروفه الخاصة . والنتيجة التي يصل اليها هي التي تعزز طبيعة الخطوة التالية .

٥ ـ مرحلة التبني Adoption stage

وفي هذه المرحلة يصل الفرد الى حالة اقتناع بالفكرة او الخبرة الجديدة ، فيقرر استخدامها او الايمان بها ، وبذا تنضم الى العناصر النفسية والثقافية والاجتماعية لشخصيته .

وهنا ، لابد من الاشارة الى امر له اهميته بهذا الصدد ، وهو ان سريان هذه المراحل ينطبق على الفرد وعلى مجموعة الافراد وعلى المجتمع على حد سواء .

وقد تتخذ هذه المراحل فترة قصيرة وقد

تتخذ آمادا طويلة تبعا لقدرة الافراد او المجتمعات على التمثيل .

وهذه المراحل خاصة بمستقبل الرسالة سواء اكان فردا ام جمهورا ، لذا يورد بعض علماء الاتصال مراحل تبدأ من حيث تبدأ الفكرة لدى المرسل وتنتهي من حيث تتم استجابة الجمهور ، وهذه المراحل هي :

١ ـ مرحلة الفكرة Ideation

في هذه المرحلة يجد المرسل ان من الضروري ايصال فكرة او حقيقة او خبرة معينة الى فرد آخر او مجموعة من الافراد .

٢ ـ مرحلة وضع الفكرة في رمز Encoding

وفيها يضع المرسل الفكرة او الحقيقة او الخبرة في سلسلة من الرموز ، اي في الفاظ مفهومة. وهذا ما يطلق عليه : التعبير الشكلي او الصياغة .

ويراعى عند وضع الرموز طبيعة الوسيلة الاتصالية ، لان الرموز ترتبط ارتباطا وثيقا بامكانيات الوسيلة بحيث تصل الى الفرد او مجموعة الافراد بشكل واضح مفهوم لا لبس فيه .

٣ ـ مرحلة النقل : Transmission

وفي هذه المرحلة يتم نقل الفكرة او الخبرة او الحقيقة المصاغة في رموز الى المستقبل بشكل مباشر او من خلال وسيلة معينة ، في وقت مناسب .

والنقطة البارزة في هذه المرحلة ، هي ان الافكار اثناء نقلها قد تتعرض الى بعض التشويه ، او الحذف ، او يساء فهمها ، لذا يتم النقل بعناية وحرص بحيث يتسنى وصولها بشكل سليم الى المستقبل .

٤ ـ استقبال الرسالة :

وفي هذه المرحلة يتم استقبال الرسالة بما تنطوي عليه من افكار وخبرات او حقائق . ويعتمد الاستقبال الجيد على قدرات المستقبل النفسية والثقافية ، وعلى الظرف الذي يتم فيه الاستقبال، والجاذبية التي تتميز بها صياغة الرسالة .

٥ ـ التفسير :

في هذه المرحلة يستخلص المستقبل ما تحمله الرسالة من معان . والخطر الاكبر هنا هو ان التفسير يعتمد على شخصية الفرد ذاته ، لذا فان مدلولات

الرسالة قد تختلف ـ بعض الاختلاف من فرد الى فرد ومن مجتمع الى مجتمع ، حيث يمكن ـ ان نجد تغييرات في المعنى الذي تؤديه الرموز ، وقد اصبحت الاقوال : «ان الشيء يفهم بشكل مختلف باختلاف الاشخاص ، وان الحقيقة الواقعة ليست موضوعية ولا مطلقة» و «ان المعاني ليست في الكلمات بل في الاشخاص» امثالا شائعة . لذا فان الرسالة الصحيحة تكنيكيا ليس بالضرورة ان تكون مقبولة استنادا الى صحتها فقط .

٦ ـ الاستجابة :

تشكل الرسالة ، بعد ان يدركها المستقبل ، منبها ، والاستجابة على ضوء المنبه هي الموقف الذي يقدم عليه كرد فعل له . لذا يمكن ان تكون استجابة المستقبل: القبول ، او الرفض ، او مجرد الاحتفاظ بالمعلومات في الذاكرة ، او السعي للمزيد من المعلومات .

وفي الاتصال الشخصي يمكن للمرسل ان يتعرف الى مظاهر الاستجابة ، الى حد ما ، بينما يصعب ذلك في الاتصال الجماهيري .

وهذه المراحل تكشف لنا ان عملية الاتصال

تجري في سلسلة مترابطة الحلقات ، ويؤدي ضعف اي حلقة فيها الى ضعف السلسلة كلها .

كما انها من جانب آخر تفصح عن تشابك العمل الاتصالي ، يضاف الى ذلك ان العمل الاتصالي يخضع للسلوك الانساني ، الذي هو الاخر يتميز بالتعقيد والتشابك ، حيث تتفاعل في اثارته وتحديد اتجاهاته عوامل متعددة ومتداخلة .

والمعروف ان هناك ثلاثة مجموعات اساسية من العوامل التي تؤثر في السلوك الانساني ، المجموعة الاولى هي عوامل فردية ترتبط بتفكير الفرد وادراكه وعواطفه ودوافعه ، والسلوك الفردي هو نتيجة جزئية لهذه العوامل الفردية التي تتبلور في شخصية الفرد وانماط سلوكه . ولكن الفرد لا يعيش بمعزل عن الناس ، لذا نجد جانبا من سلوكه يتاثر بالمجموعة الثانية من العوامل ، وهي ما يطلق عليها المحددات الاجتماعية للسلوك ، والناشئة عن التفاعل بين الفرد والافراد الاخرين . ومن ناحية ثالثة ، فان الفرد يحيا في مجتمع كبير وينتمي الى ثقافة محددة تسهم في تشكيل سلوكه(٢) .

---

(٢) د . علي السلمي ــ مقدمة في العلوم السلوكية ص ٦٥ . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٨ .

الاتصال والعمليات النفسية :

اشرنا ــ من قبل ــ الى ان هناك عوامل وقوى نفسية تؤثر في فاعلية الاتصال ، منها ما يتعلق بالمرسل ، ومنها ما يتعلق بالمستقبل ، ومنها ما يتعلق بظروف الاتصال ووسائله وصيغه الفنية ، وهذه العوامل ، رغم اننا ندرس جوانب منها وكانها منفصلة ، بعضها عن البعض الاخر ، الا انها ، في الواقع ، تتفاعل فيما بينها لتؤلف عملية معقدة واحدة .

الاتصال والدوافع :

الدوافع ، في ابسط معانيها ، تشير الى الرغبات او الحوافز او البواعث او المثيرات او المشوقات نحو موقف او نشاط معين .

وتعتبر الدوافع نقطة البدء في السلوك ، لانها تؤلف عوامل دافعة نحو اية عملية سلوكية .

وهناك انواع متعددة من الدوافع ، منها ما يسمى بالدوافع الاولية ، التي تعتمد على التكوين البيولوجي للكائن الحي ، اذ هي ترتبط باشباع رغبات وحاجات فسيولوجية .

اما الدوافع الثانوية فانها ترتبط بتأثر الفرد ببيئته الثقافية كالدافع المادي او الدافع الديني ، ودافع انتماء الفرد الى الجماعة .

ومثل هذه الدوافع ، هي دوافع فردية . اما الدوافع الاجتماعية فهي تكتسب عن طريق الاتصال الشخصي والجماهيري وتتمثل في دوافع التجمع المنظم والحب والمشاركة والصداقة وما الى ذلك .

وبوجه عام ، فان الدوافع التي يكتسبها الفرد من خلال الاتصال في محيطه الثقافي ، بما ينطوي عليه من لغات وقيم ومفاهيم وعادات واتجاهات وميول هي دوافع مكتسبة .

والدوافع التي يستطيع الفرد ان يعد لها او يوقفها او يؤجل التعبير عنها : اي يخضعها لسيطرته هي دوافع شعورية اما الدوافع التي تنطوي وراء تصرفاته التي ياتي بها دون ان يدرك لها سببا فهي دوافع لا شعورية .

وهذه الدوافع تتحكم ، بدرجات مختلفة ، في تصرفات الانسان المختلفة ، وهي ، من جانب آخر ، ذات اهمية كبرى في عمليات الاتصال الشخصي والجماهيري ، باعتبارها قوى مؤثرة في عمليات

استقبال الرسائل الاتصالية وادراكها وفهمها وقبول او رفض مضامينها ، والتصرف استنادا اليها .

وعمليات الاتصال المختلفة ، سواء كانت تعليما ام ارشادا ام اعلاما ام دعاية ، حين تستند الى دوافع انسانية يكون صداها اسرع واشد واوسع من تلك التي تقوم دون دوافع . فاستقبال الفرد والمجتمع للرسائل الاتصالية من خلال وسائلها المختلفة تحفزها دوافع معينة تتفاوت في شدتها . كما ان تبني افكار وقيم وعادات ومهارات جديدة تثيرها مجموعة من الدوافع ايضا . وكلما ظهرت للفرد او للجمهور اهمية الدافع اشتدت قوته وازداد السلوك نشاطا من اجل اشباعه .

ولهذا تعمل وسائل الاتصال الى تاليف المحفزات من خلال اثارة الدوافع لتنبيه الافراد الى اشباعها ، كما تعمد الى خلق عوامل جذب في صيغها المختلفة لتشويقهم الى الاستقبال ، وما المؤثرات الصوتية والبصرية من خلال الراديو والتلفزيون ، والتصميم الجميل من خلال الصحف ، والتفنن في اساليبها الفنية الا محفزات للافراد والجماعات على الاستقبال والتفاعل مع المضمون الاتصالي .

وعلى هذا ، فان وسائل الاتصال ، سواء

كانت على مستوى شخصي ام جماهيري ، لا تعمد من خلال اساليبها ومضامينها ووسائلها الى اشباع كثير من الحاجات الانسانية بل تعمل من اجل اثارتها وتكوين عواطف ازاء الافكار والمواقف والمهارات والايديولوجيات .

والمعروف ان المجتمع لا يختار من مكونات ثقافته الا تلك التي تحقق اشباعا بيولوجيا واجتماعيا ونفسيا لحاجاته ، وحين يجد عنصرا ثقافيا لا يلبي له ذلك ، فانه يعمد الى تغييره أو التحول به الى عنصر آخر يجد فيه ذلك الاشباع .

ويلاحظ ان بعض اساليب الدعاية ، كالغزو الفكري والحرب النفسية وغسيل المخ ، تعمد الى استغلال بعض الدوافع الانسانية استغلالا شاذا عن طريق الرشوة او التهديد او الترغيب او الاذلال او العزل .

وهناك دوافع لا تصاحبها انفعالات واضحة ، ولا تظهر آثارها الا من خلال وجود الفرد ضمن الجماعة ، وتهدف الى تحقيق الانسجام بين الافراد الذين تتألف منهم الجماعة ، وهي في حقيقتها اقرب الى الميول . ومن ابرزها : الاستهواء او الايحاء ، والمشاركة الوجدانية ، والتقمص الوجداني . ولهذه

الميول ـ كما سنرى ـ آثارها الكبيرة في عملية الاتصال .

١ ـ الاستهواء Suggestion

لو حاولنا البحث عن ادلة او براهين تستند اليها بعض افكارنا وآرائنا ومعتقداتنا ، لوجدنا انفسنا عاجزين عن ذلك ، وهذا يعني اننا قد تقبلنا وقد نتقبل ، كثيرا من الافكار والاراء والعقائد دون ان تتوفر اسباب منطقية تحمل على ذلك التقبل .

والواقع ان قليلا جدا من معتقداتنا يستند الى براهيننا المنطقية الصحيحة ، حيث اننا نؤمن بكثير منها دون مناقشتها سابقا . اذ انها انتقلت الينا من مصادر لها مكانة في نفوسنا : كالاباء او المدرسين او رجال الدين او القادة(٢)

وعلى هذا فان استعداد الفرد او المجتمع لتقبل فكرة او مهارة اوعقيدة دون تشكيك ، مع عدم توفر اسباب منطقية كافية لتقبلها ، يسمى بالقابلية على الاستهواء او الايحاء . وعن طريقها

(٢) احمد زكي محمد ـ مبادىء علم النفس التعليمي ، ص٦٧ « الجمعية المصرية للدراسات النفسية » ـ القاهرة ـ مكتبة نهضة مصر . بدون تاريخ .

تنتقل الافكار والمهارات والعقائد بين الافراد والجماعات .

ويختلف الناس في مدى قابليتهم على الاستهواء ؛ فبعضهم يتقبل كل ما يسمع او يقرأ ، في حين نرى البعض الاخر لا يكاد يصدق شيئا ، بل يجادل ويناقش ، ويشك في صحة كل شيء[٤] .

وقابلية المستهوي او الموحي (وهو هنا القائم بالاتصال الشخصي او الجماهيري) تعتمد على قوة شخصيته وثروته الثقافية ، ومهارته في الاتصال ، وكلما ازدادت هذه الظواهر لدى الموحي ازداد الناس تصديقا له . ويمكن ان تكون الشهرة الواسعة والجاه والصفة الرسمية وحسن السيرة ، والغنى ـ في بعض المجتمعات ـ وشكل الموحي وطول قامته ، وقوة صدقه ، وحسن عرض حديثه ، مساعدات لاستهواء الاخرين .

اما قابلية الاستهواء بالنسبة الى المستهوى او الموحى اليه فانها تعتمد على عناصر اخرى منها شعوره بالنقص او ضعف قدراته النقدية ، او ضعف مستوى ذكائه ، او جهله وقلة معلوماته عن الموضوع الذي يراد به الايحاء اليه ، او الثقة التي يضعها في

(٤) المصدر السابق ، ص ٦٧ .

الموحي ، او انتماؤه الى تنظيم اجتماعي يجعله يفكر تفكيرا جمعيا متاثرا بقوة ذلك التنظيم واعرافه وعاداته أو متجنبا نقد افراد ذلك التنظيم أو اعتراضهم ؛ او وجود ميول لديه تؤيد الفكرة الموحى بها ، او سهولة الفكرة ذاتها وعرضها في صيغ تخلو من التعقيد .

وعلى هذا لا عجب ان نجد سهولة تصديق بعض الجهلة المشعوذين ؛ وقبول الناس لافكار المشاهير دون نقاش ، وثقة المريض بطبيب دون آخر وتقبل الجمهور لما يصل اليهم مطبوعا في الصحف والكتب لايمانهم بان وراء تلك المطبوعات اناس على درجة عالية من الثقافة والخبرة ، او خضوع الناس لافكار خطيب ذي قامة مديدة وصوت رنان ؛ او تقبل كلمات وآراء ذي جاه او سلطان ، او الانصياع لافكار قائد وطني او عالم متخصص ؛ او تقبل فلاح لراي قيادة جمعيته التعاونية .

ولكن هناك اشخاصا يصعب ان ينقادوا لاراء ومعتقدات الاخرين ، اي ان قابليتهم على الاستهواء ضعيفة ، وقد يغالون في ذلك فيصبحون في موقف مخالف لتلك الاراء ؛ فلا يكتفون برفضها ، بل يميلون الى العمل ضدها ، وهذا ما يسمى بالاستهواء المضاد .

وينشأ الاستهواء المضاد في حالة كون الفكرة مخالفة لمبادىء ومعتقدات الموحى اليه ، او في حالة انعدام الثقة بين الموحي والموحى اليه ، او عندما يشعر الموحى اليه انه اكبر منزلة من الموحي[٥] .

وتختلف درجة الاستعداد للاستهواء المضاد من شخص الى شخص ، كما تختلف لدى الشخص الواحد من موقف الى آخر او من وقت الى آخر ، ويلاحظ ان توفر العواطف الايجابية كالمحبة والاحترام والتقدير والاعجاب يصحبه عادة استهواء ايجابي ، اما توفر العواطف السلبية كالكراهية والنفور والازدراء فيصحبها ، عادة استهواء سلبي او مضاد[٦] .

والواقع انه حتى اولئك الذين يتميزون بصفة الاستهواء العكسي يمكن التأثير فيهم باساليب غير مباشرة في الايحاء ، حيث ان هناك نوعين من الايحاء احدهما مباشر ، والاخر غير مباشر ، والايحاء المباشر هو ما يلقى فيه بالفكرة مباشرة ، ويعتمد على طرافة

(٥) حسن محمد خير الدين ـ العلوم السلوكية والعلاقات العامة ص ١١٠ (القاهرة ، مكتبة عين شمس) بدون تاريخ .

(٦) المصدر السابق ص ١١١ .

الفكرة وقوتها ، شريطة ان لا يخالف مخالفة صريحة معتقدات الموحى اليه ، ويستعان فيه ، عادة ، بالعوامل المساعدة على قبول الايحاء من حيث شخصية الموحي . اما الايحاء غير المباشر ، فهو الاسلوب الذي يحوم الموحي فيه حول الفكرة الرئيسة دون مساس مباشر بها ، ويترك بذورها تنمو في عقل الموحى اليه ، حتى تختمر في ذهنه ، فتبدو له وكأنها صادرة عنه . وهنا يتشبث بها . وبذا لا يكون هناك مجال لظهور الاراء المعارضة[٧] .

ويضع رجال الاتصال الشخصي والجماهيري في حسابهم قابلية الاستهواء لدى الافراد والمجتمعات باعتبارها قدرة كبيرة على نقل الافكار وتبنيها .

٢ ـ المشاركة الوجدانية Tympathy

يميل الفرد الى مشاركة الاخرين في افراحهم واتراحهم ومخاوفهم ، وهذا يعني ان الحالات الانفعالية تسري بين الناس سريان النار في الهشيم .

فحين يجد الفرد امه او اباه او اخوته او زملاءه او اصدقاءه او اعضاء التنظيم الاجتماعي الذي ينتمي

(٧) احمد زكي محمد ـ المصدر السابق ص ٧٠ .

اليه في حالات من الفرح او التحمس او التهيؤ او الغضب أو الحزن واليأس ، فانه لا يلبث ان يتأثر وجدانيا ويشاركهم انفعالاتهم . وحين تلم بالاسرة او بالقرية او المدينة او البلاد او الامة ملمة ، فان افرادها سرعان ما يشاركون في التعبير عن الاكتئاب او الحماس او التضحية .

وهذا التأثر او التجاوب هو التعبير عن المشاركة الوجدانية بين الناس .

ويختلف الافراد في قابلياتهم على المشاركة الوجدانية كما يختلفون في سرعة الاستجابة لها .

وكلما كانت الرابطة بين فرد وآخر أمتن كانت المشاركة الوجدانية أسرع واقوى ؛ فالشخص يشارك اهله واصدقاءه وزملاءه واعضاء التنظيم الذي ينتمي اليه في وجدانهم اكثر من مشاركته لاخرين بعيدين عنه ، كما انه يشارك ابناء وطنه اكثر من مشاركته لابناء اوطان اخرى .

والمشاركة الوجدانية هي اساس ما بين الناس من تعاطف وتعاون وتآلف وتماسك ، حيث انها تجمع بينهم من خلال انفعالاتهم وعواطفهم واتجاهاتهم وسماتهم الثقافية والاجتماعية المشتركة .

وهي اساس قوي من اسس الاتصال بين الافراد والجماعات ، لذا يستعين بها المعلمون والمربون ورجال الاعلام في غرس قيم وافكار وآمال وخبرات جديدة لدى الجمهور ، وتوحيد الجهود واستنهاض الهمم وتوجيهها نحو المواقف التي تستدعيها ظروف العمل والحياة .

ووسائل الاتصال ، في الوقت الذي تثير هذا الميل ، الا انها ، من جانب آخر ، تعمل على تهذيبه وتوجيهه ، لان المشاركة الوجدانية قد تصل لدى البعض ، أحيانا ، الى درجة عالية من القوة والعنف فتصبح معوقا لفاعلية الفرد والمجتمع .

وهناك مفهوم له كثير من خصائص المشاركة الوجدانية ، وهو ما يمكن ان نطلق عليه اسم « التوجه المشترك » Co-orientation
والفكرة الكائنة بين اطواء هذا المفهوم هو ان اي طرفين يكون لهما ادراك وفهم متماثل لموضوع ما يمكن ان يكون سريان الاتصال بينهما ، اكثر فاعلية ، ومن جانب آخر ، فان زيادة الاتصال بين هذين الطرفين يزيد ما بينهما من « توجه مشترك » [٨] .

8. Juan E. Diaz Bordenave, P. 15.

٣ ـ التقمص الوجداني Identification

التقمص ـ Identification عملية نفسية لا شعورية يلجا اليها الفرد ليبعد عن نفسه الشعور بالنقص ويدعم بنفسه ، حيث يجد في ذلك اشباعا لبعض دوافعه التي تواجه الاحباط ، وتخفيفا لما يعتريه من توتر ، عن طريق توحده ـ عن طريق الخيال او التوهم ـ مع صفات شخص آخر يحبه او يعجب به او يجد فيه ما يوفر له الطمأنينة والامن .

وقد يلجا الفرد عن طريق التقمص الوجداني الى المشاركة الجماعية مع اشخاص وجماعات اخرى في انشطتها المختلفة .

وللتقمص اثره الكبير في مساعدة الفرد على التوافق والتكيف ، ولكنه ، في احيان اخرى ، يؤدي بالبعض الى الانحراف او الجريمة .

وتزداد اهمية التقمص بالنسبة الى الاطفال الصغار ، لانه وسيلتهم الى اكتساب اللغة والاتجاهات .

وفي مجال الاتصال يكتسب التقمص مواصفات جديدة ؛ بل يصبح احدى نظريات الاعلام الرئيسة

المسماة : بنظرية التقمص الوجداني Empathy اذ انه لما كان الاتصال يعني انتقال الافكار والاراء والايديولوجيات من المرسل الى المستقبل بحيث يستطيع الاخير فهم ما يريده الاول في رسالته ؛ لذا فان التقمص الوجداني يلعب دوره في هذا الشان حيث يرى بعض خبراء الاعلام انه لكي يتم الاتصال لابد من توفر ثلاثة عناصر على الاقل هي : وسائل مادية للاتصال ، ورجع للصدى ، ومقدرة على التقمص الوجداني .

والافراد حين يتقمصون وجدانيا شخصيات المرسل الاتصالي فانهم قد يغيرون او يعيدون النظر في صورهم الذهنية عن انفسهم وعن الاخرين وقد يتخذون ـ عند ذاك ـ مواقف جديدة ـ اذا لم ينجرفوا في فهم سلوك اولئك بحيث يتصورونها متوافقة مع تصرفاتهم .

وينسحب تاثير التقمص الوجداني على قبول الافراد ـ من خلال الاتصال ـ للافكار والمهارات والمعلومات والاتجاهات وانماط السلوك .

وكان دانيال ليرنر Daniel Lerner اول من اسهم بوجهة في نظر جديدة في التفكير في عملية الاتصال استنادا الى فكرة التقمص الوجداني باعتبار ان هذا التقمص يشير الى قدرة الفرد على وضع

نفسه في موضع فرد آخر ومن ثم تبني افكاره وتصرفاته(٩) .

و «التوجه المشترك» الذي اشرنا اليه يمثل امتدادا لمفهوم التقمص الوجداني ، والذي يسهم في تحسين العلاقة بين اجهزة الاتصال والجمهور(١٠).

الاتصال والادراك

يتوقف سلوك الفرد على ادراكه لما يصل اليه من منبهات والادراك نشاط نفسي اساسي يقوم به الفرد ، وليس ملكة عقلية ، وكما انه ليست مجرد مجموعة من الاحساسات . ويوصف ، احيانا ، بانه العملية التي يعرف بها الفرد العالم ، ويحقق توافقا مع البيئة التي يعيش فيها . والمعرفة والتوافق نتيجتان مهمتان للادراك الذي نفهم عن طريقه الاشياء والاحداث ، فنحن حين ندرك ، نترجم الانطباعات التي تحدثها المثيرات في بيئتنا الى وعي بالاشياء والاحداث ، اضافة الى ان الاشياء والاحداث التي نميها تعتبر حاضرة في ادراكنا ومستمرة . ونشاط الادراك هذا هو صفة عامة

9. Juan E. Diaz Bordenave, P. 15.
10. Ibid P. 16.

وثيقة الصلة بحياتنا العقلية ، وبهذا المعنى ليس من الممكن القبول بالراي القائل : ان الاشياء توجد امامنا في العالم المادي ، وان عملنا الوحيد هو ان نفتح عقولنا لنتلقى آثارها ، كما هي موجودة فعلا في العالم الخارجي لان الواقع اننا ننشيء عالما من الاشياء والاحداث بواسطة عملياتنا الحسية . والحواس هي وسيلة اتصالنا المستمر بهذه الاشياء والاحداث ، لانها النافذ التي يتم عن طريقها جميع انواع التعلم . وهكذا فان ادراكنا لما حولنا هو في النهاية نتاج لعملياتنا الادراكية الحسية ، ويتضمن ذلك كثيرا من الانتقاء والتنظيم لما ندركه على نحو معين(١١) .

وهكذا ، فان الادراك awareness تسبقه في العادة عملية احساس sensation بالمؤثرات الخارجية او الداخلية . ولكننا لا ندرك تلك المؤثرات ادراكا ميكانيكيا ، بل نربط بينها وبين شيء ما نحتفظ به في اذهاننا من خبرات وذكريات ، ونسبغ عليها معاني جديدة وفقا لاتجاهاتنا وميولنا ودوافعنا النفسية وثروتنا الثقافية .

(١١) د . احمد خيري محمد كاظم ود . جابر عبدالحميد جابر – الوسائل التعليمية والمنهج ، ص ٤٤ ، « القاهرة ، دار النهضة العربية ١٩٦٦ » .

ولهذه فان العبارات مهما كانت دقيقة لا توصل المعنى الدقيق الى اذهان الافراد ، ما لم تكن لديهم خبرات حسية سابقة عن موضوع العبارة ، وعدم توفر الخبرة السابقة بالموضوع الجديد يؤدي ، على الارجح ، الى ادراكات خاطئة[١٢] .

ومن التجارب التي اجريت بهذا الشأن ، وثبت من خلالها ان الرموز لا تكفي وحدها الى تعلم سليم — بسبب افتقارها الى الخبرة الحسية — تلك التجربة التي قامت بها مجلة باريد Parade الامريكية . فقد نشر محررو هذه المجلة في اول نيسان عام ١٩٤٩ انهم طلبوا من ثلاثة من رسامي المجلة المشهود لهم بالكفاية العالية في التعبير والرسم ان يرسموا حيوانا — لم تسبق لهم معرفة به — طبقا للوصف الذي جاء في دائرة المعارف البريطانية عن ذلك الحيوان ، وترجمة الوصف : «جسمه قوي ، ظهره محدب ، واطرافه قصيرة وقوية ومسلحة بمخالب قوية غير حادة ، واذناه طويلتان ، وذيله غليظ عند القاعدة ويتدرج الرفع نحو طرفه . الراس يستطيل يرتكز على رقبة قصيرة سميكة ، وفي نهاية الراس قرص فيه منخران . الفم صغير مفلطح ، به لسان طويل قابل للامتداد لمسافة طويلة.

(١٢) المصدر السابق ص ٤٥ .

طول الحيوان الكبير متران ، لونه رمادي او اصفر . ونظراً لان الشعر غير كثيف ، فانه يكشف عن الجلد» . وقد جاءت رسوم الرسامين الثلاثة ، متباينة فيما بينها ، كما جاءت هذه الرسوم مختلفة في الوقت نفسه عن الشكل الحقيقي للحيوان[١٣] .

ويضع رجال الاتصال ذلك في حسابهم ، عن طريق الاستعانة بما لدى الجمهور من خبرات سابقة عند نقلهم للافكار الجديدة ويصوغون رسائلهم استنادا الى اسس حسية .

ولكن ، هذا لا يعني ان المعاني والالفاظ التي لا تعتمد على خبرات حسية معينة لدى الافراد تضلل دائما ، فقد تهيأ لاعمال فنية وادبية ان تنقل الناس الى اجواء معبرة ، كما ان الاعلام استطاع ان يحول من كثير من الافكار والارقام المجردة الى مثيرات يحس بها ويدركها اكبر عدد من الناس لذا قيل عن الاعلام انه : «فن اعطاء الحيوية للمجردات عن طريق تحويلها الى محسوسات[١٤] ، وتحويل الرقم الميت الى دراما حية ، ومسحة الاشياء المجردة والافكار لجعلها بمثابة صراعات نابضة ، لانه فن منح الحياة لكل فكرة تقال او راي يطرح»

(١٣) محمد محمد عطية — مصدر سابق ص ٩٤ .
(١٤) احمد عبدالفتاح — الدعوة والدعاة لتنظيم الأسرة . ص ١٣ . « القاهرة ، مطبعة روز اليوسف ١٩٧٣ » .

والادراك امر شخصي الى ابعد الحدود ، ولا يخضع للمقاييس الموضوعية ، فالموقف الواحد ، او حتى الشخص الواحد ، قد يظهر لاحد الافراد بصورة تناقض تماما ما ظهر بها لفرد آخر . . وتلعب العواطف ، وخصائص الشخصية والاتجاهات دورا اساسيا في تحديد ما يدركه الفرد . اي ان نظرة الفرد للعالم المحيط به تتكون وتتشكل طبقا لتلك العواطف والاتجاهات الفردية . . . لذا نجد الافراد يختلفون في الطريقة التي يرون بها مختلف الظواهر اذ انها لا تعني الشيء نفسه بالنسبة الى كل الناس في كل وقت ومكان ، بل يختلف الافراد في تصورهم وادراكهم للامور . وهذا الاختلاف في الادراك يحمل في طياته عوامل الاختلاف في انماط السلوك والتصرف . لذلك نجد الافراد يسلكون طرقا مختلفة استجابة لذات الموقف او المؤثر ، كما قد يسلكون نفس المسلك استجابة لمواقف مختلفة(١٥) .

ويترتب على هذه الاختلافات في الادراك اختلاف في التصور والتفكير والتحليل ، ولهذا ينحاز كل فرد ، في العادة ، الى مدركاته وتصوراته الخاصة . وينجم عن هذا الانحياز فقدان عملية

(١٥) د . علي السلمي ، مصدر سابق ، ص ٩٨ .

الاتصال الجماهيري ـ بشكل خاص ـ لكثير من فاعليتها ، لانها تضطر الى الاعتماد على الاسس العامة المشتركة لما يدركه الجمهور ، في الوقت الذي تتهيأ فرصة اكبر في الاتصال الشخصي للتأثر ، بسبب اعتماده على العالم الخاص الذي يحدده ذهن المتلقي .

الاتصال والاتجاهات

الاتجاه هو ميل نحو تقبل او نبذ الاشياء او الاراء او الايديولوجيات او الاشخاص او الانشطة ، او هو تأهب الفرد واستعداده لان يثار بمثير ما في موقف من المواقف فيتصرف تصرفا معينا . وعليه ، للاتجاه النفسي اثرا كبيرا في السلوك .

ويرى علماء النفس ان آلافا من المثيرات الحسية لا تدخل في دائرة خبراتنا لاننا لا نملك اتجاهات موجبة ازاءها ، اي اننا لا نميل اليها .

ويمكن ان نجد أمثلة كثيرة للاتجاهات النفسية منها : ميل فرد نحو : فن من فنون ، او مبدأ سياسي او اجتماعي ، او لون ادبي ، او نفوره عنها .

ويتطوي الاتجاه على اتخاذ قرار حول راي او عقيدة او موقف او شيء بالقبول او النبذ .

وتسمى الاتجاهات النفسية الموجبة : ميولا نفسية ، اي انه في الوقت الذي تكون الاتجاهات ذات بعدين احدهما : القبول او الايجاب ، وثانيهما: النفور او السلب ، فان للميول بعدا واحدا هو الايجاب فقط ، فنحن نميل الى الاشياء او الافكار او الانشطة والاعمال التي نتقبلها .

والموضوعات التي تتركز حولها الاتجاهات ، تتصل عادة بالنواحي الثقافية والخلقية والاجتماعية .

وتكون الاتجاهات فردية او جماعية . فالاتجاهات الفردية يختص بها الفرد ، اما الاتجاهات الجماعية فهي التي يشترك فيها عدد من الناس . كما ان هناك اتجاهات علنية واخرى غير علنية ، والاولى لا يجد المرء حرجا في اظهارها امام الاخرين في الوقت الذي يعمل فيه على اخفاء الثانية . ولكن هذه الاخيرة قد تثار في مواقف معينة فيضطر الفرد الى التعبير عنها . وقد تكون بعض الاتجاهات كامنة في اللاشعور لا يدركها الا حيث تتوفر ظروف معينة، كالتعصب الطائفي الذي لا يظهر الا في ظروف خاصة .

وتتضح الميول والاتجاهات الفردية حين يواجه الفرد فردا آخر او مجتمعا او فكرة او عقيدة او مهارة او ما الى ذلك ؛ فيتخذ ازاءها موقفا خاصا . وقد يتمثل ذلك الموقف بالشعور بالسرور او الرضى او الفرح او القبول ، او يتمثل في الفتور او الامتعاض او الحزن او الخوف او الضيق . والموقف الاول هو تعبير عن الاتجاه الموجب ، اما الثاني فهو تعبير عن الاتجاه السالب . ولكن حين لا تتم مواجهة الفرد ، في هذه الحالات ، عن تعبيرات من هذا القبيل ، فان هذا يعني : ان اتجاهاته ازاءها تلك المواقف هي اتجاهات محايدة ، او هي غير متبلورة بعد .

ويستند الاتجاه النفسي ، عادة ، الى الانطباع او الاعتقاد الذي اكتسبه الفرد حول المواقف والانشطة والايديولوجيات ، اي ان الاتجاه يرتبط ارتباطا وثيقا باعتقادات الفرد وانطباعاته .

ويلعب الاتصال دورا رئيسا في تكوين اسس تلك الانطباعات والعقائد ، وفي بلورتها ، وتهذيبها او تغييرها بعد ذلك . حيث ان ما يحدث من تغيير في العقائد يصاحبه تغيير في الاتجاهات ، كما ان ما يحصل من تغيير في الاتجاهات يصاحبه تغيير في العقائد والانطباعات .

واثبتت التجارب ان تكوين اتجاهات صحيحة لا يتم عن طريق النصح والارشاد والوعظ او التهديد او الترغيب بقدر ما يتم عن طريق اسس الاتصال الفنية .

ولهذا يقال ان ابرز وظائف الاتصال هو تكوين اتجاهات صحيحة ازاء المواقف والانشطة والافكار .

وهنا ، لابد من الاشارة الى ان كثيرا من الاتجاهات لدى الافراد والجماعات تنطوي على اسس خاطئة . فقد يكون اتجاه فرد من الافراد نحو حزب من الاحزاب سلبيا ، لاعتقاده ان ايديولوجية ذلك الحزب لا تخدم المصلحة الوطنية او القومية ، ولكن حين يتضح له ما يخالف انطباعه الاول فانه سرعان ما يتحول باتجاهاته نحو ذلك الحزب .

ولهذا يقال ان الاتجاه النفسي لا يقوم على ما هو عقلي فقط ، بل قد يقوم ، بالاضافة الى ذلك ، على ما هو عاطفي ، لان المعاني والعواطف التي يربطها الفرد بموقف معين او قضية او ايديولوجية وتؤثر في قبوله او رفضه لها هي مكونات اساسية لاتجاهاته النفسية وميوله ، كما ان الفرد قد يسلم بكثير من اتجاهاته النفسية دون تفكير او مناقشة ، وخاصة اذا كان يفتقد الى القدرة النقدية .

ومع ان للاتجاهات اثرها الكبير في سلوك الافراد والجماعات ، سواء كان ذلك السلوك عمليا واضحا ام كان مجرد عمليات نفسية او عقلية كالادراك والتفكير والتعلم والتبني ، الا ان سلوك الفرد الواحد قد لا يثيره اتجاه واحد في الموقف الواحد ، اذ تتظافر ـ غالبا ـ عدة اتجاهات .

فاتجاهات فرد من الافراد ازاء حزب من الاحزاب قد تحكمها ميوله نحو قادة الحزب او نحو ايديولوجيته ، او نحو مصلحته هو كفرد ، او مصلحة اسرته ، او طبقته الاجتماعية ، او هذه كلها مرة واحدة .

تغير الاتجاهات :

اشرنا الى ان اتجاهات الافراد والجماعات وميولها هي : استعدادات عقلية وعاطفية توجه الاستجابات نحو الاشياء والمواقف والايديولوجيات . وهذه الاستعدادات تكتسب من البيئة الثقافية عن طريق الاتصال بالوانه المختلفة : الذاتي والشخصي والجماهيري . فالعناصر الثقافية التي يتولى الاتصال نقلها تلعب دورها البالغ في تشكيل تلك الاستعدادات .

والاتجاهات ، رغم انها تميل الى الاستقرار النسبي لفترات غير قصيرة ، الا انها في الواقع دائمة التغير ، ولكن تغيرها يتم بصورة جزئية ووئيدة .

فعندما يمر الفرد بخبرات وتجارب ومواقف جديدة او يتعرف الى حقائق ومعلومات — ترتبط بموضوع الاتجاه — لم يكن قد عرفها من قبل ، فانه في الغالب ، يغير من اتجاهاته ، او يعدل فيها . وكذا الحال بالنسبة الى تغير الشيء او الموقف او الفكرة نفسها ، حيث قد يعقب ذلك تغير في اتجاهات الافراد ازاءها .

ولهذا فان وسائل الاعلام تعمل على توفير قدر كبير من المعلومات عن الموضوعات او الايديولوجيات او المهارات التي تتبناها ، على اساس ان امداد الجمهور بهذه المعلومات يكسبه المناعة ضد ما قد يتعرض له من تغير في اتجاهاته في حالة تعرض ذلك الجمهور لحملات اعلامية او دعائية من اطراف اخرى منافسة او معادية . ومن جانب آخر فان اجهزة الاعلام تعمد الى اذاعة كل ما ينم عن تغييرات سالبة في الموضوعات او المواقف او الايديولوجيات التي تنافسها او تعادلها اذا كانت لدى قطاعات من جمهورها بعض الاتجاهات الموجبة ازاءها .

ويلاحظ ان الفرد قد يغير من اتجاهاته النفسية لتتفق مع اتجاهات من له مكانة خاصة في نظره ، كان يغيرها لتتفق مع الاتجاهات النفسية لصديق له ، دلت الخبرة على ان حكمه في المواقف واقعي ودقيق ، او يغيرها لتتفق مع الاتجاهات النفسية لخبير يثق به هذا الفرد . كما انه حين يجد الجماعة التي ينتمي اليها قد غيرت من اتجاهاتها النفسية ، فانه ، في الغالب ، يغير اتجاهات كذلك ، كي يتمشى مع راي الاغلبية في هذه الجماعة ولكنه في احوال اخرى ، حين لا يساير جماعته في اتجاهاتها ، وتجد ضغطا من تلك الجماعة عليه ، فان ذلك قد يؤدي الى تشبثه باتجاهاته(١٦) .

وحين يربط الفرد اتجاهاته النفسية بالاتجاهات النفسية السائدة في الجماعة ، فانه قد يقبل بعض ما لدى الجماعة ويرفض البعض الاخر ، فيكون التغير جزئيا ، وقد يقبل الاتجاهات المشتركة في الجماعة قبولا سطحيا ، دون تغيير عميق في اتجاهاته ، وقد لا يغير من اتجاهاته تغييرا حقيقيا

---

(١٦) د . عبداللطيف فؤاد ابراهيم — اسس المناهج «دراسات تربوية نفسيه» ص ٢٠٨ « القاهرة — مكتبة مصر ١٩٧٢».

بل يتمشى فقط مع اتجاهات الجماعة بسبب ضغطها عليه[١٧] .

ويلاحظ ان الاتجاهاتاو الميول الضعيفة اكثر احتمالا للتغير من الاتجاهات القوية . اذ دلت كثير من البحوث ان ذوي الاتجاهات القومية سواء اكانت مؤيدة ام معارضة لموضوع معين اقل عرضة من غيرها للتغير . اما ذوو الاتجاهات الضعيفة فانهم اكثر احتمالا لتغيير اتجاهاتهم عند تعرضهم لمعلومات جديدة تتعلق بما يحملون من اتجاهات . مع العلم ان الفرد يميل الى جمع معلومات كثيرة عن الموضوعات التي يحمل اتجاهات مؤيدة لها . اما الموضوعات التي لا تثير اهتمامه كثيرا فان معلوماته عنها قليلة . ونتيجة لذلك فان الموضوعا ت التي تهم الافراد والتي يعرفون عنها الكثير تصبح اتجاهاتهم بالنسبة اليها اقل عرضة للتغيير عند حصولهم على معلومات جديدة ، اما الموضوعات التي لا تهمهم وبالتالي لا يعرفون عنها الكثير فان احتمال تغير اتجاهاتهم بالنسبة اليها عند حصولهم على معلومات جديدة يصبح كبير[١٨] .

---

(١٧) المصدر السابق ص ٣٠٨ .

(١٨) حسن محمد خير الدين ـ مدخل العلوم السلوكية ـ ص ٥٧ ، القاهرة ـ مكتبة عين شمس ١٩٧٥ .

ويمكن القول انه كلما زادت اهمية الموضوع قلت مقدرة وسائل الاعلام على التاثير فيه ، فقد اظهرت عدة دراسات بالنسبة الى بعض الموضوعات كالتسامح الديني ، مثلا ، ان محاولات وسائل الاعلام للاقناع لا يحتمل ان تحدث تغييرا بل يحتمل ان تقوم بدعم الاتجاهات السائدة . . ويعود ذلك الى ان اتجاهات غالبية مثل هذه الموضوعات ذات اهمية لتصورات الافراد الذاتية ولتوازنهم النفسي ؛ لذا يقال عنها : انها اتجاهات متصلة بالذات . . . ومثل هذه الاتجاهات تقاوم بشكل خاص التحول او التغير عن طريق الاتصال الجماهيري او باي وسائل اخرى[١٩] .

ويلاحظ ان الريفيين يستجيبون ، في الغالب ، لكثير من الاتجاهات الجديدة التي لا تتعارض كثيرا مع افكارهم ونظراتهم الاولى ، لانهم لا يمتلكون اتجاهات متبلورة او قوية ضدها .

وقد يعود ما حصل من تغير في ثقافة بعض الشعوب الافريقية عند اتصالها بثقافات اخرى مؤخرا الى عدم امتلاك تلك الشعوب لاتجاهات

---

(١٩) د . جيهان احمد رشتي ـ الاعلام ونظرياته : في العصر الحديث ـ ص ٢٤٨ القاهرة ـ دار الفكر العربي ١٩٧١ .

مضادة للموضوعات والافكار والايديولوجيات التي وفدت اليها عبر الاتصال .

كما قد تدخل ، ضمن هذا النطاق ، النظرة القائلة بان الشعوب التي ليس لها ماض او تراث ثقافي عريق ، اكثر طواعية على التغير من الشعوب الاخرى التي كان لها مثل ذلك التراث عبر الدهور، لان الشعوب الجديدة لا تمتلك اتجاهات مضادة للعناصر الثقافية الجديدة ، اذ انها في هذه الحالة سرعان ما تتبناها .

المعوقات السيكولوجية والثقافية للاتصال

اشرنا الى ان العملية الاتصالية تعتمد على اسس سيكولوجية وثقافية للافراد والجماعات ، حيث تقف بعض تلك الاسس حائلا دون فاعلية العمل الاتصالي مثلما يشكل البعض الاخر معينا نشيطا في تحقيق التاثير المنشود .

وهناك صعوبات اخرى تقف في طريق الاتصال ذات ابعاد مادية تضعف المستويات الاقتصادية والتعليمية والصحية والثقافية . ولن نتعرض لهذه الاخيرة ، مكتفين هنا ـ بايراد ابرز المعوقات السيكولوجية والثقافية فقط .

١ ـ الخطا في الفهم

يشير خبراء الاعلام ان سوء الفهم كثيرا ما يعترض فاعلية الرسائل الاتصالية ، ويؤكدون : ان

ذلك لا يشيع في المجتمعات التقليدية والريفية ، بل يتعدى ذلك الى المجتمعات الحضرية .

وقد اشرنا الى ان العملية الاتصالية ليست مجرد ارسال واستقبال آلي للمعلومات والحقائق ، بل هي تعامل بين هذه كلها وبين سمات النفس الانسانية وعناصر الثقافة في المجتمع . كما ان العملية الاتصالية تمر بمراحل متعددة ، لذا فان احتمال وقوع المستقبل في خطأ في الفهم امر متوقع .

فالناس يختلفون في استجاباتهم للمنبهات المختلفة التي يتلقونها عن طريق حواسهم ، كما انهم يختلفون في قدراتهم على الادراك . فادراك الشخص لرموز الرسالة ومضمونها يتوقف على ما يحمل من اتجاهات وقيم وعادات وتقاليد وخبرات وخصائص نفسية وعقلية اخرى ، وهذه كلها تساعد ذلك الشخص على تقدير الموقف من وجهة نظره الخاصة ، واستنادا الى ذلك تتم استجابته . اي ان الفرد لا يتأثر بمضامين الرسائل الاعلامية كما هي ، بل كما يدركها هو ، اي ان مضامين الاتصال تمر عبر مرشحات خاصة في المستقبل وقد ينجم عن ذلك تشويه تلك المضامين او الانحراف بها .

وعليه ، فمثلما ان يحصل الخطا في الاحساس

وفي الادراك ، قد يحصل ايضا في المراحل الاخرى من العملية الاتصالية كمرحلة الاهتمام ، او مرحلة التقييم او مرحلة التجريب او مرحلة اتخاذ القرار بشأن الفكرة أو المعلومة أو المهارة التي تحملها الرسالة الاعلامية ، يضاف الى ذلك ان الخطأ في احدى المراحل قد يسوق الى اخطاء في المراحل التالية .

٢ - الانتقاء الذاتي

يتمتع المستقبل «سواء كان فردا ام جمهورا» بحرية الانتقاء الذاتي ، في العادة ، وهذه توفر له اختيار ما يريد الاستماع اليه او مشاهدته او قراءته .

ولا شك ان ميول الافراد واتجاهاتهم تقرر الى حد كبير ، مدى تلقيهم او عزوفهم عن تلقي رسائل الاتصال . فالذين يؤمنون بمذهب ما يتجنبون الرسائل الاتصالية التي تحمل ما ينتقص من ذلك المذهب او يشعرون انها موجهة من مصادر معادية فلا يحفلون بها .

«وقد وجد احد الباحثين في دراسة له ان الراديو غير مؤثر في تغيير اراء الفلاحين ، بشكل

فاعل ، لان سكان الريف لا ينصتون الى الافكار التي لا يؤمنون بها[٢٠]» .

والاخطر من كل ذلك ، ان المستقبل لا يدرك الا ما يقرر هو ــ شعوريا ام لا شعوريا ــ ادراكه . وهذا يعني ان كلا من الاستقبال والادراك يخضع لعملية الانتقاء الذاتي . ولهذه العوامل آثارها في التقليل من فاعلية العمل الاتصالي .

٣ ــ تعدد الانتماءات

المعروف ان التقمص الوجداني والمشاركة الوجدانية والتوجيه المشترك تعمل على تبني الفرد لمفاهيم الجماعة التي ينتمي اليها في الغالب ، وليس هذا فقط ، بل قد يشاركها في كثير من اخطائها مسوقا الى ذلك بتفكيره من خلال عقلية الجماعة .

ولهذا نجد ان فاعلية الاتصالات الخارجية قد تخف الى حد كبير في الجماعات البدائية والريفية التي تتميز بتماسك اعضائها وانغلاقهم على عناصر ثقافية تقليدية .

---

(٢٠) محمد منير محمد صابر حجاب ــ دور الصحف اليومية في نشر الاساليب الزراعية ــ ص ٦٥ . رسالة ماجستير، قسم الصحافة ، كلية الاعلام جامعة القاهرة ١٩٧٤ غير منشورة .

والذي يزيد من المشكلة تعقيدا هو ان الفرد ، في العادة ، لا ينتمي الى جماعة واحدة بل ينتمي الى جماعات متعددة ، منها ، مثلا : العائلة ، والمدرسة، والتنظيمات المحلية الوطنية والقومية ، وغيرها من التنظيمات الاجتماعية . وحتى حين تطغى جماعة على اخرى في تأثيرها على الافراد فان ذلك لا يحول دون استمرار بعض الولاءات للتنظيمات الاخرى ، حيث ان كل جماعة ، هي بالضرورة ، مصدر اتصال ما دامت لها عناصرها الثقافية الخاصة ، مما يجعل الفرد تحت تأثير تيارات عديدة ، وربما متباينة في الاتجاه في احيان كثيرة .

٤ ــ ميل الاتجاهات نحو الثبات

يتحدد سلوك الفرد بمجموعة اتجاهاته ازاء الافراد والاشياء والاعمال والايديولوجيات ، وتتمثل تلك الاتجاهات في ذلك النظام من الميول والمشاعر والمعتقدات .

ويعتبر الاتصال اداة كبرى في بلورة الاتجاهات المختلفة ، «حيث ان الشخص لا يستطيع تكوين اتجاهات حيال شيء او شخص الا اذا كان هذا الشيء او الشخص في محيط ادراكه ، أي ان الفرد لا يستطيع تكوين اتجاه حيال اشياء لا يعرفها

او حيال اشخاص لم يتفاعل معهم[٢١]» والاتصال هو سبيل الفرد والمجتمع الى ذلك التعرف والتفاعل.

والمشكلة التي يواجهها الاتصال تتمثل في اختلاف اتجاهات الجماهير وتشتتها ، واختلاف درجات الاتجاهات ذاتها نحو موضوعات او اشياء او ايديولوجيات معينة ، حيث تتواجد اتجاهات مؤيدة واخرى معارضة ، وثالثة ضعيفة ورابعة متطرفة او متعصبة .

ولكن المشكلة الكبرى التي يواجهها الاتصال هو ميل الاتجاهات الى الثبات في الوقت الذي يسعى الاتصال الى تغييرها وفقا لما تتطلبه الاهداف التي يسعى اليها المجتمع .

ويتفق علماء النفس على ان الكثير من اتجاهات الفرد تكون ثابتة غير قابلة للتعديل بدرجة ملحوظة، فاتجاهات الفرد التي يكتسبها اثناء فترة الطفولة تستمر في كثير من الاحوال طوال حياته ، وقد تبقى بعض هذه الاتجاهات على الرغم من ان خبرة الفرد وتجاربه بعد ذلك تتنافى مع هذه الاتجاهات[٢٢] .

(٢١) د . على السلمي ـ مصدر سابق ص ٢١٤ .

(٢٢) عبدالرحمن عبدالباقي عمر ـ دراسات في العلاقات الانسانية ، ص ١٥١ . القاهرة ـ مكتبة عين شمس ١٩٧٥

ويمكن ان نتوقع ان الفرد عندما يتقدم به السن تتغير ثقافته وتتضح شخصيته وتكون في حوزته بيانات اكثر ومن ثم ينبغي ان تتغير اتجاهاته، والواقع ان هذه الاتجاهات تتغير فعلا ولكنها تتغير ببطء شديد ، اذ ان هذه الاتجاهات تقاوم التغير بعد تكوينها واستقرارها ، ويرجع علماء النفس جمود الاتجاهات وما اسموه : بالمحافظة الذاتية Self preservation للاتجاهات الى اسباب متعددة[٢٣] .

وتصل الاتجاهات الى مستوى تبلغ فيه مبلغ التعصب للراي او التعصب ضد الاقوام والاجناس او ضد الافكار والمهارات الجديدة .

وهناك من يتعصب ضد الاتصال نفسه ، حيث يتصور الناس ان اجهزة الاتصال ما وجدت الا من اجل زلزلة كياناتهم وتغيير افكارهم لذا تراهم يغلقون عيونهم عنها ويضعون اصابعهم في آذانهم .

(٢٣) المصدر السابق ص ١٥٢ .

الاتصال والثقافة

الثقافـــة

يرتبط افراد المجتمع بوثاق متين هو : الثقافة، ولولاها لما وجدنا سلوكا وتصرفات وافكارا وعقائد وعادات وقيما ومعايير واتجاهات وقوانين وفنونا واهدافا ولغة مشتركة .

وتنطوي الثقافة على المركب الذي يشتمل على هذه العناصر كلها ، والتي يكتسبها الناس في المجتمع نتيجة للاتصالات المختلفة ، سواء اكانت تلك الاتصالات فردية ام جماهيرية .

وعلى هذا فان الثقافة تشمل كل ما يتسع للفرد ان يتعلمه ويشارك فيه اعضاء المجتمع . ولا شك ان ما يتعلمه الافراد وما يحملونه من ايديولوجيات وقيم ومعارف واتجاهات وانفعالات يؤثر تأثيرا مباشرا في سلوكهم وتصرفاتهم ، لذا فان الثقافة تمثل نمطا للسلوك الانساني .

ويذهب الباحثون الى ان الثقافة لا تحدد انماط السلوك والوان المعارف التي يحملها الافراد بل هي تصوغ شخصياتهم «وهي لا تتخلل حياتهم المستيقظة بل تدخل حتى في نطاق نومهم في الحال الذي يتخذونه في مضمون احلامهم . لذا فهي تشكلهم عقليا وانفعاليا ، وحتى جسميا ، وتكيف سماتهم الجسمية ، وتحدد كيفية تفكيرهم بالعالم وكيفية ادراكهم[1]»

والثقافة ، على هذا الاساس ، تحدد انماط الحياة الاجتماعية ، وكيفية التعامل مع الطبيعة واستغلالها استغلالا واعيا ، وتوحد مشاعر وافكار الناس وآمالهم ، وتمنحهم الشعور بالانتماء والتعاون والعمل المشترك ؛ وتهيء لهم سبل الضبط والتكيف الاجتماعي .

وعليه ، فان الثقافة ليست مجموعة من المعلومات التي تحتفظ بها الذاكرة ، بل هي ممارسة وسلوك في التفكير والتخطيط والتنفيذ .

(1) ج . ف . نيللر – الاصول الثقافية للتربية : مقدمة في انثروبولوجيا التربية – ترجمة د . محمد منير مرسي ود . محمد عزت عبدالموجود ، ويوسف ميخائيل اسعد . ص ٥٩ . القاهرة – عالم الكتب ١٩٧٢ .

والثقافة جزء من البيئة التي صنعها الانسان، لذا فان كثيرا من الباحثين لا يقصرون معناها على ذلك النسيج من المعارف والمعتقدات والقيم والمهارات وانماط الاعمال والتفكير والاتجاهات والتأملات ، بل يريدون بها ، اضافة الى ذلك ، جانبا اخر يتمثل في العناصر المادية التي انتجها العمل الانساني من المباني ووسائل المواصلات والاطعمة والالبسة والادوات والمؤسسات ، وغير ذلك من الاشياء المحسوسة . ومن هنا كان النظر الى الثقافة من زاويتين : اولاهما : معنوية ، وثانيتهما : مادية .

وهذان الجانبان اللذان يؤلفان الثقافة يشكلان كلا واحدا ؛ فاية اداة او وسيلة يستخدمها الافراد في حياتهم لابد من توفر عادات وافكار وتقاليد حول صنعها واستخدامها .

وحين يختل احد جانبي الثقافة ، فانه يؤثر في الاخر تأثيرا بالغا . ومن الامثلة التي يمكن ان نسوقها بهذا الصدد ، ما تتعرض له بعض البلدان النامية التي هيأ لها الثراء المالي ان تأخذ ببعض الاساليب الحضارية عن طريق استقدام الخبراء الاجانب واقامة المباني والمنشآت واستيراد الملابس والاطعمة دون ان يوازي ذلك تطوير في الجانب المعنوي للثقافة فيها ، فواجهت فراغا ثقافيا

Cultural Lag ويسبب هذا اضطرابا اجتماعيا في اجهزة المجتمع وفي وظائفه : كالاسرة والتعليم والحكومة والدين ، بحيث تصبح القيم الاجتماعية والاتجاهات السلوكية غير متمشية مع التطور الاقتصادي ، فيعاني المجتمع من فقدان التوازن ومن عدم التكيف ، مما يؤدي في نهاية الامر الى قصور في نتائج التنمية ، كما يؤدي الى ظهور كثير من الظواهر الشاذة كالجرائم والادمان على الخمر وانتشار الامراض النفسية والعقلية(٢) .

ولاشك ان هذه الظاهرة لا تواجه بعض البلدان النامية فقط بل تتعداها الى بعض البلدان الراسمالية المتقدمة ايضا ؛ حيث ان نسبة التقدم التكنولوجي تفوق نسبة التقدم المعنوي للثقافة «ويشير الباحثون الى ان ظاهرة الفراغ الثقافي او الهوة الثقافية تتسع شيئا فشيئا حتى تصبح خطرا يهدد استقرار المجتمع ويؤدي الى فشل تنظيمه(٣)»

(٢) د . ملاك جرجس – سيكولوجية الشخصية المصرية ومعوقات التنمية . ص ٢٢ . « القاهرة ، مؤسسة روز اليوسف ، ١٩٧٤ » .

(٣) د . احمد الخشاب – التغير الاجتماعي – ص ٦٩ . (القاهرة الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر – المكتبة الثقافية ، ١٩٧١) .

والثقافة ـ بجانبيها المعنوي والثقافي ـ اكبر من ان تكون ذات سمة فردية ، فمع ان الفرد قادر على خلق جزء قليل منها الا ان دوره الرئيس يتمثل في كونه حاملا وناقلا لجوانب من مظاهرها . فاذا كان المجتمع هو مجموعة من الناس يحيون في رقعة معينة ويتعاونون معا عبر فترة من الزمن من اجل اهداف محددة ، فان الثقافة تتمثل فيما حققه ذلك المجتمع من انجازات ، والكيفية التي بها يفكر ويتصرف ويعمل ، اي ان الثقافة هي نتاج التفاعل بين الافراد والجماعات . وهذا التفاعل ليس الا اتصالا يتمثل في نقل وتلقي القيم والمهارات والايديولوجيات .

وانشطة وتصرفات افراد المجتمع تتحدد من خلال المعاني التي تتضمنها الثقافة ، كما ان زيادة الاتصال يمكن ان تزيد من نمو الثقافة وتزيد من دورها في حياة المجتمع .

وثقافة مجتمع ما لابد وان تختلف في قليل او كثير في مستوى عناصرها وكيفية انتظام تلك العناصر عن ثقافة مجتمع آخر ، فثقافة المجتمع العربي لها مظاهرها عن اية ثقافة اخرى . وحين وضع الاستعمار الحواجز بين اجزاء الوطن العربي كان يستهدف ، قبل كل شيء ، تقطيع اوصال الثقافة

العربية وزلزلة انتظامها عن طريق تمييع عناصر منها في هذا القطر وتحويل عناصر اخرى في قطر آخر ، لتبدو في مجملها نسيجا مهلهلا لا يقوى على شد المجتمع وتحديد انماط سلوكه واهدافه المشتركة ، وقد رافقت محاولات الاستعمار تلك حملات «غزو ثقافي» منظمة عن طريق مختلف وسائل الاتصال .

ومن خلال ما اوردناه عن معاني الثقافة يتضح لنا ان الاستعمال الدارج لها لا يعبر عن مدلولاتها الصحيحة ، حيث اعتاد الكثيرون على اطلاق كلمة «مثقف» على من اكتسب قدرا من المعلومات العامة، وبهذا يشيرون الى الناتج التعليمي في الثقافة فقط ، في الوقت الذي تشكل فيه الثقافة معنى أشمل بكثير من مجرد تحصيل المعلومات ، باعتبارها مجموعة متفاعلة من انماط السلوك والايديولوجيات والمشاعر والمعايير ، والتعليم في حد ذاته ليس الا جزء من العمل الثقافي .

ومع ان الثقافة تتالف من مركب من العناصر والسمات يحملها ويحرسها المجتمع ، الا ان حصيلة الافراد منها يتفاوت نوعا وكما . وحتى اولئك الذين يعارضون ثقافة مجتمعاتهم ويسبغون على معانيها صفات اخرى من وحي اتجاهاتهم الشخصية او افكارهم الذاتية ، فان لهم نصيبا غير قليل منها ،

اذ ان الثقافة ، لا تلغي ما بين شخصيات الافراد من فروق ، لذا كان هناك اطار عام مشترك للثقافة يشاركون فيه افراد مجتمعهم ، لهذا يقول الباحثون: «ان كل انسان يشابه الاخرين في بعض النواحي ، ويشابه بعض الاخرين في نواح اخرى ، ويختلف عن اي انسان آخر في نواح خاصة»[٤] .

وعلى هذا فان الفرد لا يمكن ان يحمل جميع العناصر في ثقافة مجتمعه ، ولهذا يقال عن الثقافة انها تحمل معنى فوق فردي Super individual ولكن هناك خصائص ثقافية عامة يشترك فيها كل اعضاء المجتمع وهي ما يطلق عليها بالعموميات universal وتتمثل في السمات الثقافية وانماط السلوك والتعبير والتفكير التي يكتسبها كل اعضاء المجتمع ، مثل : اللغة والتاريخ المشترك والنظام الاجتماعي او السياسي او الاقتصادي الذي يسير عليه المجتمع وطرق تناول الطعام وارتداء الملابس واداء التحية وبناء البيوت . وتشكل العموميات الاطار العام للثقافة .

«وعموميات الثقافة هي التي تكون السمات الاساسية لهذه الثقافة والتي تؤدي الى تشكيل نمط

(٤) د . علي السلمي ـ مصدر سابق ص ٢٧٥ .

مشترك من الاتجاهات يمتاز بها افراد ثقافة عن غيرها من الثقافات بحيث يستطيع الفرد اذا ما عرف هذه العموميات ان يميز الشخص الذي ينتمي اليها . فاختلاف طريقة استعمال الشوكة والسكين بين الاوربيين وبين الامريكيين ادى في الحرب العالمية الثانية الى اكتشاف جاسوس امريكي كان يعمل في فرنسا ، وترتب على هذا اعدامه»[٥] .

«واشتراك افراد الجماعة في عموميات الثقافة يؤدي الى ظهور الاهتمامات المشتركة التي تجمع بين هؤلاء الافراد . وظهور هذه الاهتمامات المشتركة حقيقة سيكولوجية مهمة تبنى على اساسها وحدة الجماعة واهدافها المشتركة ، اذ ان هذا يولد بينهم شعورا بالتضامن وبالمصير المشترك . اما اذا كانت هناك اهتمامات متعارضة كان ذلك من اهم مصادر الصراع والتمزق . كما ان اشتراك افراد الثقافة الواحدة في هذه العموميات يؤدي الى انتشار خبراتهم الاجتماعية مما يؤدي بالتالي الى تماسكهم الاجتماعي ؛ هذا التماسك الذي لابد منه لاي مجتمع يهدف الى البقاء والاستقرار ، اضافة الى ان الماضي

(٥) د . محمد لبيب النجيحي ـ الاسس الاجتماعية للتربية ص ٢٠٣ (القاهرة ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ ١٩٦٨) .

المشترك ، والذي يؤلف جانبا من هذه العموميات عرى الوحدة بين الافراد(٦)»

والى جانب الخصائص الثقافية العامة هناك اخرى تشيع بين جماعات معينة في المجتمع ، وهي ما تسمى بالخصوصيات Specialties ، وتشترك فيها جماعات معينة من المجتمع دون غيرها بحكم الانتماء الطبقي او التخصص المهني او الدور الوظيفي .

ومع ان الخصوصيات يقتصر بها قطاع معين من المجتمع ، الا ان بقية القطاعات الاخرىتلم ببعض جوانبها .

اما ثالث الخصائص الثقافية في المجتمع فهي ما يطلق عليها المتغيرات او البديلات Alternatives وهي عناصر دخيلة على ثقافة المجتمع ، في الغالب . وهي ليست شائعة بين افراد المجتمع كلهم ، ولا هي مقتصرة على اصحاب مهنة او طبقة . وتتمثل في عادات وقيم وانماط سلوك وطرق تفكير واتجاهات مختلفة تتسرب بين عناصر الثقافة الاصلية بسبب اتصالها بثقافات اخرى ، وتظل لفترة غير قصيرة تحت التجريب حتى يقبلها المجتمع فيضيفها الى ثقافته او يرفضها .

(٦) المصدر السابق ، ص ٢٠٣ .

وتتميز الثقافات الحية بكثرة المتغيرات فيها واحتوائها لها بعد تهذيبها واسباغ الملامح الثقافية الوطنية عليها .

ومن ناحية اخرى تتواجد داخل المجتمع ذاته مجموعة من الثقافات الفرعية Subcultures التي تميز قطاعات رئيسية في المجتمع ويمكن اعتبار الثقافة الريفية احدى الثقافات الفرعية المهمة في المجتمع .

الثقافة والسلوك :

ليس بالوسع الحديث عن الثقافة والسلوك كل على انفراد ، لان الثقافة ، في حد ذاتها ، نظام متكامل من السلوك الاجتماعي الذي تدعمه الافكار والقيم والايديولوجيات التي يشترك الافراد في اعتناقها . فالثقافة هي اطار عام لسلوك الافراد ، وبقدر ما تكون الافكار والقيم والايديولوجيات متوافقة ومتوازنة يكون السلوك الانساني متوافقا ومتوازنا . فافراد اي مجتمع حين يتصرفون بتصرفات معينة فان تلك التصرفات هي نتيجة لما تمليه عليهم قيمهم الثقافية سواءا تبينوا ذلك ام لم يتبينوه . ولهذا فان الثقافة تقدم حلولا جاهزة لكثير مما يواجه الافراد من مشكلات الى حد قيامهم

ببعض الوان السلوك دون تفكير ، كما هو الحال في ممارستهم للعادات في التفكير والممارسة .

وثقافة اي مجتمع تختلف تبعا للسلوك الانساني الذي يقوم في المجتمع ، لذا وجدنا ثقافة خاصة بالمجتمعات الزراعية واخرى خاصة بالمجتمعات الصناعية .

كما تختلف الثقافة تبعا لما تمليه عليها اهدافها من انشطة .. لذا فان اجهزة الاتصال في البلدان النامية ، مثلا ، تعمل من اجل محو بعض العناصر الثقافية التي لا توافق ايقاع الحياة المتجددة فيها، وتعديل عناصر اخرى ، واحلال عناصر جديدة .

الثقافة والاتصال

ليس هناك بين عناصر الثقافة ما يمكن ان ينتقل عن طريق الوراثة البيولوجية ، لان الثقافة التي تتراكم على مر الدهور ، يكتسبها افراد المجتمع عن طريق الاتصال . حيث انها تتميز بطواعيتها على الانتقال من فرد الى فرد ومن فرد الى مجموعة افراد او بالعكس ، ومن جيل الى جيل ، ومن مجتمع الى اخر .

وانتقال الثقافة من جيل الى جيل ، مهد

للاجيال اللاحقة ان لا تبدأ من الصفر ، بل من حيث انتهت اليه الاجيال السابقة . كما مهد انتقالها بين الافراد الى تحول كثير من الافكار والمعتقدات والنظرات الشخصية الى عامة . ومهد انتقالها بين الجماعات الى نموها وازدهارها ، وهيأ انتقالها بين المجتمعات حتى اصبحت بعض عناصرها ذات ابعاد اقليمية او عالمية .

وتشكل عمليات التربية والتعليم والتنشئة الاجتماعية والاعلام جوهر الاتصال الايجابي . ولكن بعض رسائل الاتصال استغلت قدرة الثقافة على الانتقال فاستخدمتها في عمليات تخريب ثقافية .

ولكن يتسنى للثقافة ان تنتقل لابد من وجود ثلاثة عناصر اساسية هي : وجود ثقافة معينة يراد نقلها ، ووجود وسيلة اتصال تنتقل من خلالها ، ووجود فرد او مجموعة افراد او مجتمع يمكن ان يستقبل ويتقبل تلك الثقافة .

وقد كانت الحروب والتعامل التجاري مناخات للاتصال بين الاقوام والشعوب والامم ، حيث تهيأ من خلالها انتقال الثقافات بين تلك الاطراف . ويبدو «ان المجتمع الناجح القوي يؤثر في المجتمع الاقل نجاحا وقوة اكثر من تأثره به . اي ان هناك

علاقة طردية بين قوة المجتمع ونجاحه وتأثيره في الثقافات من حوله(٧)»

ولكن سريان الثقافة ــ مع هذا ــ يعتمد الى حد كبير على قدرة المجتمع الناقل في التعبير عن نفسه ونقل ثقافته وحسن استخدامه لوسائل الاتصال ؛ اضافة الى طبيعة الثقافة المنقولة وطبيعة الثقافة المستقبلة ؛ حيث يمكن ان يقف المجتمع الاخر في موقف معاد للثقافة اذا وجد ان عناصرها تتناقض مع اتجاهاته ومعتقداته .

ويمكن ان نجد امثلة كثيرة لذلك . فعند عبور الجيش العربي للبحر المتوسط ونزوله بلاد الاندلس في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وبقاء الحكم العربي نحو ستة قرون ؛ مهد ذلك لانتشار عديد من العناصر الثقافية العربية في اوربا «ولكن مع ذلك فقد ظلت معرفة العرب بالاوربيين ومعرفة الاوربيين بالعرب محدودة ؛ ذلك لان العلاقات بين العرب واوربا كانت متأثرة بعوامل عديدة تجعل آثارها محدودة . فقد كانت هذه العلاقات تتسم بطابع عدائي ؛ اذ نظرت اوربا الى

(٧) د . علي فؤاد احمد ــ علم الاجتماع الريفي ــ ص ١٧٧ ، الطبعة الثالثة ــ القاهرة ــ مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٦ .

العرب باعتبارهم شعبا غازيا خرج من الجزيرة العربية مبشرا بدين مغاير لدينهم ؛ وناشرا حضارة جديدة . ومن هنا وقفت اوربا من العرب في هذه المرحلة موقف الدفاع عن دينها وحضارتها وكيانها(٨)»

كما ان الحروب الصليبية التي امتدت من القرن الحادي عشر الى القرن الثالث عشر ؛ مهدت لانتقال عناصر ثقافية عربية كثيرة الى اوربا في وقت كان فيه للعرب كيان ثقافي فيه كثير من التماسك ؛ لذا اعطى العرب لاوربا ــ اثناء هذه الحروب المديدة ــ اكثر بكثير مما اخذوا عنهم .

وفي فترات الغزو الاستعماري الاوربي للوطن العربي عملت اجهزة الغزو الثقافي الاستعمارية بمثابرة من اجل تشتيت عناصر الثقافة العربية واحلال عناصر جديدة ؛ واذا كان المجتمع العربي قد واجه تلك المحاولات بنضاله ضدها ؛ الا ان كثيرا من جوانبها قد تسربت بيننا ؛ واصبحت مثل عملة

(٨) السيد ياسين ــ الشخصية العربية بين المفهوم الاسرائيلي والمفهوم العربي ــ ص ٨١ ــ مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام . القاهرة ١٩٧٤ .

زائفة نتداولها دون ان نستطيع اكتشاف زيفها[٩] وبلغ الامر ان تأثرت حتى بعض مفاهيمنا الوطنية والقومية بها[١٠] .

وانتقال الثقافة بين المجتمعات يتم في العادة في كيفيات مختلفة ، فقد يتم بشكل تلقائي او اغرائي مقصود ، او عن طريق الجبر والالزام ، وفي الكيفية الاخيرة يملي مجتمع منتصر على آخر مغلوب بعض العناصر الثقافية مستغلا ما ينتاب المجتمع المغلوب من شعور بالاحباط او النقص او الخذلان . ومع ان المجتمعات المغلوبة تقاوم الثقافة الوافدة ، وقد تزداد تمسكا بثقافتها الخاصة الا انه وجد ان ذلك لا يحول دون تسرب عناصر ثقافية كثيرة الى ثقافتها خاصة ، وان الغالبين يلجأون –في اكثر الاحايين– الى استخدام اساليب مؤثرة ، ويعتمدون على «وجوه» من الساسة والكتاب الذين ينتمون الى المجتمع المغلوب ، ولكنهم في نفس الوقت يؤيدون الغالبين .

(٩) هادي نعمان الهيتي – كيف ولماذا فشلت الانسانية في الحصول على حريتها – محاضرة القيت في اتحاد الادباء في العراق في ٢١/٢/١٩٧٠ بمناسبة اليوم العالمي لمكافحة العنصرية والتمييز العنصري . غير منشورة .

(١٠) هادي نعمان الهيتي – الاعلام العربي والدعاية الصهيونية

ويلاحظ ان الثقافة – رغم تراكمها على مر العصور – الا انه يحدث ان تمر المجتمعات بما يسمى بـ «الافراغ الثقافي» والمقصود به : ان المجتمعات قد تزيح او تباعد عن نسيجها الثقافي من العناصر الثقافية اكثر مما تضيف او تكتسب ، ومن الامثلة على ذلك : ما حدث لمجتمع بغداد بعد هجمات التتار وما حدث لمصر خلال حكم المماليك والعثمانيين[١١] .

ويمكن ان يكون الاتصال في موقف تتبادل فيه التأثير ثقافتان او مجموعة من الثقافات في وقت واحد مما يهيء لعمليات تغيير ثقافية بمرور الوقت في الثقافات المتصلة .

عناصر الثقافة :

اشرنا الى ان الثقافة ذات بعدين احدهما مادي والاخر معنوي ، ومع ان البعد الاخير غير ملموس ، الا ان له اثره الكبير في حياة المجتمع ، ويتمثل في العادة ، في الافكار والعقائد والاتجاهات والميول والعادات والاعراف والتقاليد والانظمة واللغات والقوانين والقيم والمستوى التكنولوجي .

(١١) د . محمد عبدالمنعم نور – المجتمع الانساني – ص ٢٨ – القاهرة مكتبة القاهرة الحديثة .

ومع هذا فان الثقافة ببعديها الرئيسين تؤلف كلا متكاملا غير قابل للتجزئة ، كما انها اكثر من كونها مجموعة من العناصر المختلفة ، اذ هي في الواقع اقرب الى ان تكون حاصل ضرب هذه العناصر مجتمعة .

ولو حاولنا تحليل اية ثقافة الى عناصرها الاولية ، لوجدنا ان تلك العناصر من حيث الكم واحدة ، ولكن مصدر الاختلاف فيها هو مستوى تلك العناصر وكيفية انتظامها في البنيان العام للثقافة .

وتتشابك عناصر الثقافة فيما بينها ، ويؤثر كل عنصر منها في بقية العناصر .

ونتناول ابرز عناصر الثقافة التي ينبغي للاتصال ان يعمل على نقلها من مرحلة التبلور الى مرحلة التجوهر بعد تهذيبها او تعديلها ، حيث ان الاتصال لم يعد مجرد تغطية للاخبار او نقلا للمعلومات بل امست وظيفته تتمثل في عملية تغيير في الثقافة بجميع عناصرها بحيث تتواءم مع ايقاع الحياة وظروفها المستقبلية .

١ ـ القيم :

من الممكن القول ان القيم Values هي علاقات بين الانسان والموضوعات التي يرى ان لها قيمة .. وان هذه العلاقات تتضمن نوعا من الراي في شيء او شخص او معنى ، كما انها تتضمن شعورا واتجاها نحوه وتفضيلا له . ومثل هذا التصور للقيم يعبر ، بوضوح ، عن مدى التعقيد في طبيعتها ، كما انه يبين انها جزء من التنظيم الذي يسيطر على سلوك الانسان ويعكس حاجاته واهتماماته واهدافه، بالاضافة الى انه يعكس ، بصور مختلفة ، وبدرجات متباينة ، التراث الثقافي(١٢) .

ويمكن ان تنضوي تحت مفهوم القيم ـ بمعناها الواسع ـ كل الافكار والعقائد والمبادىء التي احتضنها الانسان عبر الزمن لايمانه بما لها من قيمة معينة .

وتربط القيم بين عناصر الثقافة وتنظمها حتى تبدو متناسقة ، وتمنحها اساسا عقليا يستقر في اذهان اعضاء المجتمع المنتمين الى هذه الثقافة او تلك . وتظهر اهمية هذه الوظيفة اذا علمنا ان هناك

(١٢) لاحظ د . عطية محمود هنا ـ التوجيه التربوي والمهني ـ ص ١٨٥ (القاهرة ـ مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩) .

شبه اجماع على تعريف المجتمع او المجتمع المحلي على انه مجموعة من الاشخاص يتبعون نفس القيم ويحاولون الوصول الى اهداف مشتركة(١٢) ؛ لذا يقال عن القيم انها مثاليات الثقافة .

وعليه ، فان القيم ، اضافة الى كونها معايير لضبط وتحديد السلوك والاهداف والادوار الاجتماعية فهي تمثل اهدافا يسعى المجتمع الى تحقيقها .

ويمكن ان نجد امثلة عديدة للقيم ، منها ما يرتبط بالنواحي الدينية او المركز الاجتماعي ، او المادة ، او الحياة العائلية ، او الجمال او الشهرة او الزعامة او السيطرة ...

وتتميز القيم عن غيرها من عناصر الثقافة كالاتجاهاتاو الميول. فنجد ان القيم تهتم بالاهداف البعيدة العامة . كما انها تترتب فيما بينها ترتيبا هرميا ، اي ان بعض القيم يسيطر على غيرها او يخضع لها . فنجد أن الفرد يحاول ان يحقق قيمة جميعا ، ولكن اذا حدث تعارض بينها فانه يخضع بعضها للبعض الاخر وفقا لترتيب خاص ... ولا

(١٢) لاحظ : دراسات في علم الاجتماع القروي ـ د . محمد عاطف غيث . ص ٢١٩ .

تعكس القيم مجرد حاجات الافراد الخاصة ، بل هي تعكس ايضا ما يثبت عليه المجتمع وما يعاقب بسببه ، ولما كانت المجتمعات المتطورة تحتضن قيما متعارضة او قيما تتضارب في بعض المواقف ، كما ان الوان التربية المختلفة والمستويات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية تؤكد قيما دون اخرى لذلك كان من المتوقع ان نجد ان التنظيم القيمي يختلف باختلاف الثقافة التي يحيا فيها الناس ، كما تختلف باختلاف الطبقة او المجال الاجتماعي الذي يعيشون فيه ، وكذلك يتاثر بالخبرات الخاصة التي يتعرضون لها(١٤) .

وتعتمد القيم على اسس عقلية او عاطفية او انفعالية .

وتدخل في نطاق القيم ما يمكن ان يسمى بالرواسب الثقافية ، وهي عناصر ثقافية وجدت طريقها الى الشيوع والانتشار بسبب قدمها . وقد لا تكون للرواسب الثقافية اية وظيفة واضحة ، ومع هذا فان الكيان الثقافي كثيرا ما يحتفظ بها .

ويمكن القول ان الرواسب الثقافية تلقى احتراما وتقديرا في نفوس بعض الافراد قد يصل

(١٤) د . عطية محمود هنا ـ مصدر سابق ص ١٨٦ .

الى مرتبة التقديس ، وهم يحاولون الحفاظ عليها ، ترجمة لما يحملون في نفوسهم من ولاء عصبي يقودهم الى الانقياد القطيعي الاعمى وراءها(١٥) . ومن افتك افاته تلك الاحتفالات التي ليس لها اسس دينية او تاريخية او اللجوء الى الاضرحة للتحكيم في بعض القضايا .

ويسهم الاتصال شخصيا كان ام جماهيريا .. في بلورة القيم وفي تغييرها ، ولكن تغيرها يستغرق فترات غير قصيرة ، حيث ان الميول والاتجاهات يمكن لها ان تتغير بشكل اسرع من القيم .

وبناء قيم جديدة ليس بالامر اليسير ، ويتقبل الناس ، عادة ، من وسائل الاتصال ما يتفق وقيمهم اكثر من تقبلهم ما يناقض تلك القيم .

٢ — الاتجاهات :

تشكل الاتجاهات عنصرا من عناصر الثقافة ؛ وقد تناولنا عند بحثنا لسيكولوجية الاتصال شيئا عنها ودور الاتصال في تغييرها .

(١٥) د . احمد الخشاب و د . احمد النكلاوي — المدخل السيولوجي للاعلام — ص ٨٨ — الاسكندرية — دار الكتب الجامعية ١٩٧٤ .

وتلعب الاتجاهات دورا كبيرا في توجيه استجابات الافراد والجماعات نحو الموضوعات والافكار والعقائد والمواقف والاشخاص .

وقد تكون الاتجاهات مؤيدة للظواهر او معارضة لها لذا يقال عنها انها ذات بعدين احدهما موجب والاخر سالب . ويسمى البعد الاول : ميولا .

ويتوقف اتجاه الاستجابة على خبرات الفرد الشخصية وخبرات الاخرين الذين يجمع بينهم الاتصال ، سواء كان مباشرا ام غير مباشر .

٣ — الافكار والعقائد :

يسود في كل مجتمع عدد لا حصر له من الافكار ، تؤلف مركبا معقدا ، منها ما هي متوافقة ، ومنها ما هي متعارضة ، كما ان منها ما هي صحيحة ومنها ما هي خاطئة ، ومنها ما تتلاءم مع طبيعة الانشطة الاجتماعية للمجتمع ، ومنها ما تشكل معوقا للنمو والتطوير .

اما العقائد فهي ليست الا افكارا وجدت قبولا في المجتمع .

وعلى هذا فان كثيرا من الانشطة الذهنية ، سواء اكانت واقعية ام خيالية يمكن ان تندرج تحت

عنصر الافكار والعقائد ، منها على سبيل المثال : المعتقدات السياسية والدينية ، والحقائق العلمية والمثل والخرافات والاساطير ، والالوان الادبية والفنية المختلفة .

٤ـ الانظمة الاجتماعية Social institutions

تتواجد بعض الوحدات في المجتمع لاداء وظائف معينة ، وكثيرا ما تحتفظ هذه الوحدات بدرجة نسبية من الاستمرار والثبات .

ويشير بعض علماء الاجتماع الى ان بعض التقاليد الشعبية حين تحتل اهمية اكثر من غيرها ، وحينما تتراكم لتلبي حاجة انسانية اساسية يتشكل من خلالها نظام اجتماعي .

ومن امثلة ذلك :النظام السياسي والنظام الاقتصادي ونظام التعليم والنظام العائلي والنظام الديني ونظام الملكية الخاصة او نظام الملكية العامة ونظام تعدد الزوجات او وحدانية الزوجة .

«وكل نظام من الانظمة يحتوي على عدد من الانماط السلوكية المتعارف عليها اجتماعيا والتي تمثل جزء من الثقافة العامة للمجتمع . وتلك الانماط

يحيطها عدد من التقاليد والاتجاهات والقيم والطقوس والرموز التي تؤيدها وتدعمها(١٦)»

٥ ـ اللغة

تمثل اللغة عنصرا مهما في اية ثقافة ، وهي الى جانب الكتابة . تؤلف عاملا كبيرا في تراكم الثقافة واستمرارها وانتقالها .

كما ان اللغة من اهم سبل الاتصال بين الافراد والجماعات ولها الفضل الكبير في تطوير الحياة الانسانية .

وتعرف اللغة بانها «نظام موضوع من الرموز الصوتية القسرية يستطيع بواسطتها اعضاء الجماعة الاجتماعية ان يتفاعلوا» .

ورموز اللغة تدل على اشياء في العادة ، وليست العلاقة بين الرموز وبين الاشياء التي تدل عليها علاقة طبيعية ، لكن الرموز تشتق وظيفتها الاساسية من اجماع الجماعة والعرف الاجتماعي السائد ، اي ان المعايير الاجتماعية لدى المجتمع هي التي تحدد الاشياء التي تدل عليها الرموز المستعملة

---

(١٦) د . علي السلمي ـ مصدر سابق ـ ص ٢٦٧ .

في المجتمع . وليس لهذه الرموز اي معنى بالنسبة الى شخص آخر خارج الجماعة ليس له علم بمعاييرها الاجتماعية ، وهذه الرموز اللفظية تكتسب معانيها المختلفة من الثقافة التي تعيش فيها(١٧) .

ويكتسب الافراد اللغة عن طريق الاتصال ابتداء من الطفولة .

٦ ـ الاعراف والتقاليد :

ترتبط الاعراف Mores بالاخلاقيات ، وهي ليست الا تقاليد اكتسبت كثيرا من القوة بسبب ما انطوت عليه من دلالات اخلاقية .

ويمثل العرف مقدسات ومحرمات المجتمع ، لذا فهو ليس الا قانونا غير مكتوب ، يخضع الافراد له دون ان تتولى جهة فيه تاكيد سلطانه .

وتشيع اعراف في المجتمعات النامية لا تتوافق مع حركة النمو ، ويرجع سبب استمرارها الى ان الاعراف تميل الى الاستقرار حيث يكون تغيرها بطيئا .

(١٧) د . محمد لبيب النجيحي ـ الاسس الاجتماعية للتربية ص ١٨٥ .

٧ ـ العادات :

يسمى الباحثون الاجتماعيون العادات بالسلوكيات الاجتماعية أو الطرق الشعبية Flok ways . ويؤديها الافراد بصورة تلقائية دون حاجة الى التفكير .

وتنتقل العادات الشعبية من جيل الى جيل ، وقد تطرا عليها بعض التغيرات خلال فترات غير قصيرة .

وظهور اي نشاط جديد في المجتمع يحتم ظهور مجموعة من العادات المرتبطة به ، والتي تشكل معينا على اداء كثير من الانشطة دون كثير جهد . كما ان تحول جماعة ما عن نشاط عقلي أو ذهني معين يحتم اسقاط ما ارتبط به من عادات .

وتسهم اجهزة الاتصال في بلورة عادات ايجابية ، وازاحة العادات ذات الابعاد السلبية .

٨ ـ القوانين :

تحدد القوانين ما ينبغي للافراد ان يسلكوه وما ينبغي ان يمتنعوا عنه . لذا فهي اداة لتنظيم جانب من السلوك الانساني . ومع ان القوانين هي

معايير للدولة ، في العادة ، الا انها غير مقطوعة الجذور عن المجتمع وثقافته .

٩ ـ التكنولوجيا :

يعتبر الاسلوب التكنولوجي لمجتمع ما احد العناصر المهمة في ثقافته اذا ما اريد به التعبير عن نظرات المجتمع وكيفية استخدامه للمكتشفات والمخترعات التكنولوجية وانتفاعه بها .

ويحمل هذا العنصر الثقافي مجالين اثنين : اولهما : الفكر ، وثانيهما : التطبيق .

وعلى هذا فهو لا يقتصر على استخدام التكنولوجيا في المجتمع بل يتعداه الى النظرة الى نتائج العلم الحديث وكيفية تطبيقها وتطويرها .

ولا شك ان لكل اكتشاف او اختراع اثاره الاجتماعية البارزة .

اما الجانب الاخر المتمثل في التكنولوجيا كملكية ، فهو يعني غير المعنى الذي نقصده . لان التكنولوجيا ـ في حد ذاتها ـ قوة مشلولة ، حيث ان امتلاك الالات والادوات والمنشآت اذا لم يصاحبه تغيير في مفاهيم الناس وانماط سلوكهم ومهاراتهم

ومداركهم وقيمهم واتجاهاتهم لن يؤدي الى تغير حقيقي في الحياة الثقافية للمجتمع .

وتعمد البلدان الراسمالية الى اغراق بعض بلدان العالم الغنية ماليا بفيض من المعدات والالات، مصدرة الى جانبها مقولة كاذبة مؤداها ان «التكنولوجيا تمثل ثورة بديلة عن الثورة الاجتماعية ويمكن من خلال الاولى تحديث المجتمعات المتخلفة دون ما حاجة الى الايديولوجيات» .

ان استيعاب التكنولوجيا واستخدامها في عمليات النمو امر لابد منه ، اما ان يكون هذا الجانب بديلاً عن جوانب اساسية اخرى فهذا ما لا يمكن اقراره .

الثقافة وبناء الانسان

الثقافة هي التي اكسبت الانسان انسانيته ، ولولاها لما وجدنا سلوكا ومشاعر واتجاهات وافكارا وعادات وانشطة مشتركة .

والثقافة هي اداة تكوين الشخصية ، بل يذهب كثير من الباحثين الى القول ان الثقافة والشخصية مصطلحان مترابطان معا ، حيث تؤلف

الثقافة الجانب الجماعي من الشخصية كما تؤلف الشخصية المظهر الذاتي من الثقافة .

وبناء الانسان يعني اكسابه عناصر الثقافة وتربية اوجه نشاطه العقلي والحركي والانفعالي والاجتماعي .

وقد اثبت العلم الحديث خطل النظريات التي كانت ترجع التقدم والتخلف الى فوارق بين الاجناس البشرية ، والتي روجت لها الراسمالية العالمية لكي تبرز استغلالها للشعوب المختلفة ، حيث اتضح ان قضية التقدم والتخلف ترجع الى عوامل ثقافية قبل كل شيء .

كما اثبتت البحوث ان العائد الاقتصادي الناتج عن تنمية الانسان يفوق بكثير العائد الناتج عن استغلال الموارد الطبيعية او رؤوس الاموال او غيرها من الجوانب ذات الطابع الاقتصادي ، ولهذا يؤكد المعنيون بشؤون التنمية : ان التنمية لابد لها ان تاخذ مسارين يكمل احدهما الاخر ، يتمثل الاول في التنمية البشرية ، والثاني في التنمية الاقتصادية. ولهذا يقال : «ان داخل كل مشكلة اقتصادية مشكلة بشرية واجتماعية» .

ومعاناة البلدان النامية ــ اليوم ــ من آثار

التخلف يعود الى : التخلف في الموارد البشرية التي كان للاستعمار دوره الكبير في غرس كثير من العناصر الثقافية المعوقة للتقدم واضعاف كثير من العناصر الثقافية الايجابية لديها . ونستطيع ان نتبنى بسهولة ــ على مستوى الوطن العربي ــ آثار بعض السمات السلبية كالجمود والتقليدية والتواكل والقدرية ، وما اليها . وما هي الا صفات دخيلة ليس لها من الاصالة نصيب ، ولا يمكن ان نجد لها جذورا في عناصر الثقافة العربية ، سواء اكانت على مستوى العقائد الدينية ام الاجتماعية ام الاتجاهات ام التقاليد ، حيث مر المجتمع العربي بفترات كان يفرغ فيها بعضا من عناصر ثقافته ويضطر الى امتصاص او تبني عناصر بديلة .

وكون تلك السمات غير اصيلة في الثقافة العربية يمنح القائمين بالاتصال فرصا نادرة في محوها او تعديلها ، لان العناصر الثقافية التي تنشأ في ظروف القهر او الخوف لا يمكن الا ان تكون نسيجا ثقافيا مهلهلا يمكن ان يتهاوى دون عناء كبير .

وعلى اية حال ، فان بناء الانسان يعتمد على تهذيب وتطوير ثقافة المجتمع من خلال اجهزة الاتصال المختلفة ، ومن هنا تتضح اهمية هذه الاجهزة في العملية الثقافية ، ولكن لابد من التنويه الى ان عملية

التغيير الثقافي تستغرق وقتا غير قصير كما تستلزم جهودا كثيفة متواصلة ، لان الانسان ليس آلة مسخرة بل هو مخلوق له قدراته العقلية وارادته ومشاعره . ومع هذا ، وبفضل ما توفر لاجهزة الاتصال الحديثة من قدرات واسعة استطاعت بلدان عديدة ان تنتقل بالانسان من السلبية الى الايجابية، ومن الجمود الى التغير ، ومن التقليدية الى التقدمية، ومن القدرية الى التجريب ، ومن التواكل الى الاقدام ، ومن التراخي الى الحزم ، ومن الفردية والتنافس الفردي الى الجماعية والتعاون ، ومن التفكير الخرافي الى التفكير العلمي .

كما ان اجهزة الاتصال اخذت خلال السنوات الاخيرة تعمل بنشاط – في بعض البلدان – بين جمهور الاطفال بشكل لم يسبق له مثيل من قبل لتشريبهم بعناصر الثقافة الجديدة ، ولا شك ان تثقيف الاطفال منذ صغرهم هو من اكبر المهام التي تواجهها بلدان العالم النامية اليوم لبناء الانسان الجديد[١٨] .

(١٨) لاحظ : « ادب الاطفال : فلسفته ، فنونه ، وسائطه » بقلم . هادي نعمان الهيتي – وزارة الاعلام ١٩٧٧ .

الاتصال والتغير الثقافي

بسبب عمليات الاتصال المستمرة وما يحدث في المجتمع من تغير في العلاقات والقوى الانتاجية وطرق الانتاج فان الثقافة لا تثبت على حال ، بل تستمر في التغير .

ويشمل التغير الثقافي اكتشاف او اختراع او استعارة او اعادة تفسير بعض العناصر او السمات او الملامح الثقافية .

وهناك فارق بين التغير الثقافي والتغير الاجتماعي ، فالمقصود بالاخير هو التغيير الذي يحدث في بنيان وظائف المجتمع ، اي في النظام الاجتماعي ، وحيث ان النظام الاجتماعي ما هو الا عنصر من عناصر الثقافة ، لذا فان التغيير الاجتماعي يكون جزء من التغير الثقافي الذي يشمل كل انواع التغير، سواء اكان ما فيها متعلقا بالتنظيم الاجتماعي ام

خارجا عن هذا النطاق كالتغير في الفنون والعلوم والفلسفة وغيرها من العناصر(١) .

وهناك عوامل عديدة تفعل فعلها في التغير الثقافي ، ورغم ان بعضها تبدو غير ثقافية الا انها متصلة بالتراث الثقافي وبالمجتمع ، ومتاثرة بكل منهما في الوقت نفسه اما العوامل الثقافية فان تاثيرها يفوق العوامل الاخرى(٢) ، حيث ان الاتصال الثقافي هو العامل الرئيسي في التغير الثقافي والاجتماعي . ويعود للاتصال الفضل الاكبر في عمليات التغير السريعة التي تمر بها الانسانية اليوم.

ويتخذ التغير الثقافي انماطا متعددة . وما التحولات التي جرت في الصين الشعبية قبل عدة سنوات باسم الثورة الثقافية الا واحدا من انماط التغير الثقافي ، ولكنه نمط متميز في اسلوبه رغم انه كان يهدف الى نفس الغايات التي يتوخاها التغير الثقافي المخطط في تخلي الناس عن افكار وقيم وتقاليد سائدة واحلال بدائل مناسبة .

(١) لاحظ د . محمد عبدالمنعم نور ـ المجتمع الانساني ص ٢٦ القاهرة ـ مكتبة القاهرة الحديثة ـ بدون تاريخ .

(٢) لاحظ المصدر السابق ص ٢٦ .

ولا يمكن ان نجد مجتمعا ثابتا دون تغيير ، ولكن انماط التغير تختلف باختلاف الامكنة والازمنة فقد نجد تغيرا بطيئا لا يمكن ملاحظته بسهولة ، او تغيرا متدرجا فيسمى تطويرا او تغيرا سريعا فيسمى طفرة او ثورة ، حيث «تمثل الثورة قمة التعبير الانساني لتغيير بناء المجتمع لقهر المشاكل ، وتعد في مجال حياة المجتمعات عملية خلق باعتبارها اكبر ادوات التغيير التي عرفها البشر(٣)»

كما ان الثورة تغير في البناء وفي العلاقات تغيرا يتناول الاساس المادي والمعنوي معا ، اما الاصلاح فهو محاولة لتقليل الاخطار والنتائج غير المرغوبة التي تتصل باداء البناء لبعض وظائفه . ولهذا فان الاصلاح لا يمس العلاقات الوظيفية الاساسية لاجزاء البناء ؛ كما ان التطوير بدوره ليس الا تعديلا لبعض الشروط والظروف التي يعمل في ظلها النظام دون تغير جوهري في الاساس المادي والمعنوي له(٤) .

وكثيرا ما يتخذ الاصلاح له جانبا واحدا او هدفا واحدا دون بقية الجوانب والاهداف ، وبذا

(٣) د . محمد عاطف غيث ـ دراسات في علم الاجتماع القروي ـ ص ٢٠ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٠ .

تبقى كثير من العناصر الثقافية او الاجتماعية دون تغير ملموس . وكثيرا ما تلجا بعض الدول الى الاصلاح لتجعله اداة للمباهاة والمفاخرة او سعيا وراء بث الرضا في نفوس الناس او امتصاص نقمتهم او لاطفاء ما يعتمل في نفوسهم من ميل الى التغير

اما التنمية development وهي مصطلح ذو علاقة بالتغيير ، فرغم انه ينطوي على تفسيرات عديدة الا انه يمكن القول عنه انه منهاج للتغير يراد به تحويل الحياة الثقافية كمجتمع من حال الى حال افضل ، ولهذا تعرف التنمية بانها «العملية التي يتعلم من خلالها الافراد كيف يسخرون امكانياتهم لتحقيق اهدافهم العامة» .

والدول النامية ، اليوم ، كما يعبر عنها احد الكتاب : تريد ان تمشي وتركض وتطير في آن واحد اي انها تريد ان تسرع في حركة التغير وتحرص ان يكون تغيرها جذريا ، لذا مضت غالبية هذه البلدان في طريق الثورة في اسيا وافريقيا واميركا اللاتينية، باعتبار الثورة الطريق الاكثر جذرية في التغير .

وتسعى الدول الراسمالية «وخبراؤها» لان تغرس في نفوس الشعوب النامية نظرة ثبت بطلانها، وهي : ان بلدان العالم النامية ليس لها من سبيل

الى التقدم الا باتباع الطرق التي انتهجتها البلدان الراسمالية في التغيير . ويساند هذه الفكرة اصلاحيون كثيرون في البلدان النامية . ولكن هذه النظرة اخذت اليوم تفقد الجاذبية التي خلعتها عليها الدول الراسمالية ، بعد ان ثبت للشعوب النامية ان الظروف التاريخية التي مر بها الغرب الراسمالي هي غير الظروف التي مرت وتمر بها بلدانهم .

وعلى اية حال ، فان التغير الثقافي هو اخطر ظاهرة واجهتها الانسانية على مدى تاريخها الطويل، وما تزال تواجهها حتى اليوم بشكل اعنف واشد .

ومع ان نظريات عديدة قد وضعت لتفسير اسباب التغير الثقافي ، الا ان هذه النظريات لا تعنينا في دراستنا هذه لاننا نتناول موضوعا له خصوصيته هو : مدى اسهام الاتصال ، ولا سيما الاعلام ، في التغير الثقافي .

الاتصال والتغير :

في سياق التفاعل بين الافراد والجماعات والمجتمعات تتغير عناصر ثقافتهم . ويشكل الاتصال اساسا لهذا التفاعل ، لانه وسيلتهم الى التاثر والتاثير .

وليس بالوسع فصل الاتصال عن المجتمع او ثقافته ، لانه جزء من بنيان المجتمع ، او هو وظيفة من وظائفه .

وقد كان للاتصال دوره في انهيار قيم المجتمعات التقليدية عبر التاريخ ، وسيظل له دوره الكبير في تداعي كثير من القيم والافكار وانماط العمل والتقاليد التي لا تتوافق مع ايقاع العصر الجديد ، وبناء بدائل جديدة .

والاتصال ، باعتباره ، جوهر الثقافة هو محرك كبير للتغير ، واذا ما استخدم استخداما ايجابيا فانه يؤدي الى توجيه التغيير الثقافي وضبط مساره .

وعليه فان الاتصال ــ بمعناه الايجابي ــ اداة للتغير ووسيلة لتوجيهه ، لانه يتولى مهام الاعلام والتربية والتعليم والتثقيف والارشاد والتدريب والتنشئة الاجتماعية . وهذه المهام تشكل جوهر الثقافة التي يقوم عليها بنيان المجتمع ، اذ تتم عن طريقها تعبئة الموارد البشرية لتحقيق اهداف المجتمع والتبشير بالتغيير واحداثه فعلا ، وتوجيه الانظار اليه واعداد الناس له ، لان الاتصال يمكن ان يمهد للغد عن طريق تهيئة الاذهان وغرس الاتجاهات والمهارات لمقابلة المواقف المتوقعة .

والتغير الثقافي يعني ــ في ما يعني ــ تحرير الشخصية الانسانية من السلبية والتقليدية والجمود والتفكير الخرافي ، وان أي تغير ثقافي يستوجب تعبئة بشرية وتغييرا للافراد ليصبحوا اهلا للتحول .

وكان «ليرنر» في مقدمة الذين اشاروا الى ان شعور الشعب بالحاجة الى التغير يؤلف عاملا من عوامل التقدم ، حيث يكون الاتصال اداة لبعث ذلك الشعور وبلورته وتشكيل صور ايجابية للاهداف الجديدة التي يمكن للشعب ان يحققها اذا ما توفرت له القدرة على التقمص الوجداني[٥] . كما ان الاتصال يمكن ان يبث الثقة في القدرة على التغير .

ويلاحظ ان الرغبة العارمة لبعض بلدان العالم النامية في تحقيق التحولات في وقت قصير تؤدي الى خطر يتمثل في ان وسائل الاتصال تشكل مصدرا يزيد من مطالب الناس ورغباتهم بقدر يفوق بكثير ما تستطيع امكانياتها توفيره ، مما يسبب اختلالا في عمليات التغير ذاتها ، وقد تنساق بعض الحكومات

(٥) Look: Communication and rural development by Juan E. Diaz Bordenave.

تلبية لتلك الرغبات ، الى تقديم حلول آنية سريعة لا تعمل عملها في التغير كما ان اثرها لا يلبث ان يخبو بعد حين .

وقد لا تكون وسائل الاتصال وحدها سببا في ازدياد رغبات الناس الطاغية في بلدان العالم النامية، اذ ربما ترجع بعض اسباب ذلك الى ان شعوب هذه البلدان تريد ثمرات عاجلة لشعورها بالنقص والتخلف لسنين طويلة كما ان زيادة التطلعات المفرطة مع استمرار اتساع الفجوة بين الدول النامية والمتقدمة قد يسبب احباطا لشعوب هذه البلدان ؛ اذا لم تعمل اجهزة الاتصال من اجل ضبط النفس.

وبوجه عام يمكن القول انه في الوقت الذي تمضي فيه البلدان النامية في طريق التغير الثقافي ، الا ان غالبيتها تواجه في نفس الوقت ما ينجم عن هذا التغير من تناقض . لذا نجد فيها تشكيلة ثقافية معقدة تضم كثيرا من الرواسب الثقافية التي لا تلائم ايقاع العصر الى جانب المفاهيم والقيم الجديدة .

ويزيد في تعميق هذه المشكلة غياب الاتصال الفعال او تنافر مضامينه او تناقض اهدافه او عدم وجود هدف عام له ، او بدائية وسائله واساليبه ، ولهذا فان هذه البلدان في اشد الحاجة الى برمجة

ذكية للعمليات الاتصالية بجانبيها الرئيسي: الشخصي والجماهيري .

وهنا لا يمكن ان نتجاهل دور الغزو الثقافي الذي تخطط له وتنفذه مؤسسات «الثقافة والاعلام» المرتبطة بالاستعمار ، وتشارك في الاسهام فيه قوى الطابور الخامس في مختلف المجتمعات ؛ حيث يفوت هذا الغزو كثيرا من الفرص في طريق التغير السليم .

ولهذا فان الاتصال يزداد اهمية في بلدان العالم النامية لانه يحمل مسؤولية مزدوجة هي تشذيب العناصر الثقافية المتخلفة وبناء عناصر جديدة ومواجهة الغزو الفكري .

ويختلف الاتصال في وسائله واساليبه ونظمه تبعا لثقافة المجتمع ، ولهذا يصعب ان نجد في بلدين ناميين انظمة ووسائل واساليب اتصالية متماثلة تمام التماثل ، ولكن يمكن ان نجد بين البلدان النامية جميعا بعض المؤشرات الاتصالية العامة .

ويرتبط الاعلام باعتباره احد مستويات الاتصال بالتغير الاجتماعي من خلال مجموعة من الابعاد منها(٦) :

(٦) د . احمد الخشاب ود . احمد النكلاوي ـ مصدر سابق ص ١٢٤ .

١ ـ تدعيم اتجاهات التغير التي تعبر عن الوجدان الثقافي السائد وتعديل مسارها وتوجيهها بحيث تصبح قوى فاعلة .

٢ ـ مقاومة اتجاهات التغير التي من شانها احداث الخلل والتصدع في بناء القيم والتنظيم .

٣ ـ تفسير اتجاهات التغير المختلفة وانماطه والكشف عن القوى والعوامل والاهداف الكامنة خلفها وبيان قيمها وخلفياتها حتى يستطيع الافراد وتستطيع الجماعات ان تقف منها موقف الواعي المنتقي من جهة ، وليتجنبوا ، من ناحية اخرى ، التاويل او التحريف او التضليل لذي ينشأ في كثير من الاحيان .

مقاومة التغير الثقافي

لا تمضي عمليات التغير الثقافي التي يفرضها الايقاع المختلف لانماط الحياة ، في سبل سهلة ممهدة ، بل تلاقي صنوفا من المقاومة ، على الرغم من ان الاهتمام بالغد اصبح جزء من ثقافة الانسان، واصبحت الافكار والاشياء الجديدة تلقى هوى في النفوس .

والواقع ان التغير لا يقتصر على كونه رغبة ،

بل هو اضافة الى ذلك ممارسة وفعل ، وكثيرا ما يقف في الجانب الاخر من الرغبة في التغير اتجاه نحو مقاومة كل تغير غير مالوف ، ويسمى علماء الاجتماع هـذا الاتجاه بالقصور الثقافي Cultural Inertia الذي يمكن ان نجده بدرجات متباينة ـ في كل مجتمع انساني .

ولا تختلف الثقافات في نسبة طواعيتها للتغير وفقا لظروفها فحسب ، بل تختلف العناصر الثقافية ذاتها في الثقافة الواحدة في ذلك ، حيث نجد ان العناصر الثقافية المادية اسرع في تغيرها من العناصر المعنوية ، في الغالب ، ونتج عن تغير بعض العناصر الثقافية دون البعض الاخر تخلف ثقافي .

ومن نتائج التخلف الثقافي الناشيء عن درجة تفاوت التغير او التطور في كل من العناصر الثقافية المادية وغير المادية ما يسبب ظاهرة اخرى يعبر عنها بظاهرة «التفكك الثقافي» ومن ملامح هذه الظاهرة الاخيرة ما يبدو ، في بعض الاحيان ، من علامات القلق والاضطراب في العلاقات الاجتماعية بين اعضاء المجتمع الواحد ، اي الصراع بين القديم والجديد ويبدو هذا بين اعضاء الاسرة الواحدة ، حيث نجد انه لا توجد في الاسرة اجيال زمنية فحسب ، بل

اجيال ثقافية ايضا . وكذلك الصراع بين المجتمعات المحلية والجماعات التي تصبح في ضوء ظروف التغير السريع في المجتمع ، منعزلة ـ ثقافيا ـ وبين المجتمع الجديد والجماعات الاخرى في المدينة ، وفي خارج المدينة على السواء(٧) .

ويتبلور الصراع عادة ، ويكون واضحا ، بين القيم الثقافية القديمة والمعوقة وبين القيم الجديدة التي تعكس بالضرورة ، صور الظروف الاجتماعية الجديدة . وما القيم الاجتماعية المعوقة الا رواسب ما تزال تعمل في نفوس الناس وتوجه سلوكهم عن طريق تأثير العادات والتقاليد الراسخة فالمعروف ان التقاليد والاتجاهات الفكرية والمعتقدات الدينية ليست جزء منفصلا عن اعضاء المجتمع ، ولذلك نجدهم يتمسكون بها على الرغم من تطور العناصر الثقافية المادية الاخرى(٨) .

وتقبل الانسان لاية فكرة او ممارسة لا يحدث ـ في الغالب ـ بصورة مفاجئة او سريعة ، انما

(٧) د . سيد عويس ـ دراسات عن المشكلات الناجمة عن النمو الحضري وامكانية معالجتها . من بحوث المؤتمر الرابع عشر للشؤون الاجتماعية بطرابلس ، ليبيا من ٣ ـ ٨ تموز ١٩٧١ .

(٨) المصدر السابق

يستغرق وقتا طويلا ، ويتخذ له خطوات متتابعة ـ كما اشرنا من قبل ـ لذا فان دوافع الفرد واتجاهاته وافكاره وعاداته وتقاليده وقيمه وعقائده تنمو رويدا رويدا وببطء شديد ، وعليه ، لا عجب ان نجد ان العمل على تغيير هذه العناصر يلاقي شيئا من المقاومة ، ويستغرق تغييرها ـ في حالة الاستجابة ـ الى وقت غير قصير .

ومع ان التغير الثقافي هو عملية مستمرة بشكل تلقائي ، الا ان هذه الصورة من التغير لا تلبي الحاجات الاساسية التي يتطلبها النمو الانساني ، بسبب بطئها الشديد ، وهي تبدو ـ بعد وقت قصير ـ تخلفا مريعا . لهذا كانت الجهود الانسانية من اجل التغير كثيفة ونشيطة ، حيث ثبت ان المشكلات الثقافية لا يمكن لها ان تزول من تلقاء نفسها حتى لو كان المجتمع يمضي في التغير ، اذ قد يكون التغير في اتجاه القطب السالب . ولهذا نجد برامج واسعة للتغير الثقافي ، تستهدف توجيه التغير ، وتنظيمه ، وضبطه ، والتعجيل فيه . وليس من المستبعد ان يدفع التغير الثقافي الذي لا يمضي وفق ضوابط الى التمزق والاضطراب .

واذا لم تهيأ الجماهير ـ عن طريق الاتصال الفعال ـ لتقبل التغير والاسهام فيه ، فانها تجد

شيئا ما قد اقحم عليها اقحاما ، وهي سرعان ما ترفضه . واذا ما وجدت نفسها بين مطرقة وسندان فانها تصل الى حد الانهيار .

ونستطيع ان نحدد ابرز عوامل مقاومة التغير الثقافي الى :

ـ تلاقي العناصر الثقافية الجديدة المقاومة لان الناس يشكون في قيمتها لعجزهم عن الربط بينها وبين النتائج المتوخاة منها ، ويمكن ان يدخل هذا ضمن ما يسمى بالخوف من المجهول الذي يعتبر اشد انواع الخوف ، او يمكن ان يدخل ضمن ما يسمى بالخوف المرضي او الفوبيا .

ـ لدى كثير من الناس اتجاه لانتهاج ما ورثوه عن اجيالهم السابقة ، لانهم الفوا ذلك واعتادوا عليه، ويجدون ان كل تغير جديد يستلزم منهم بذل شيء من الجهود العقلية او الجسمية . كما ان البعض يسبغ شيئا من القداسة على التراث القديم ، ويرى ان اي مس فيه هو عدوان مقصود على المقدسات. يضاف الى ذلك ان في كل مجتمع قوى تعمل من التشبث بالعناصر الثقافية القديمة .

ـ يرى كثير من الناس ان الاخذ بانماط فكرية

وسلوكية جديدة قد يعرضهم للخطا ، او يفقدهم مراكزهم او مواقعهم الرسمية او الاجتماعية .

ـ يقاوم الافراد كل ما يعرضهم للقلق ؛ وحيث ان كثيرا من الناس يمكن ان يجدوا في التغير كثيرا مما يقلقهم ، سواء اكان ذلك شعوريا ام لا شعوريا ، فانهم يقاومونه .

ـ تقاوم الطبقات الاجتماعية كل ما يمس وضعها الطبقي ومصالحها وامتيازاتها ، وحيث ان الطبقات ما تزال في المجتمعات النامية تحتفظ بكثير من نفوذها ، لذا فان كل طبقة اجتماعية تعمل كقوة معوقة للتغير الذي يعرضها للخطر .

ـ يشير علماء النفس الى ان ميول الناس واتجاهاتهم تميل الى الاستقرار والثبات ، وان تغيرها يمضي دائما ببطء شديد ، ويرجع علماء النفس استقرار الاتجاهات الى ما يسمونه بالمحافظة الذاتية Self Preservation .

ـ يقاوم الناس اساليب التغير الثقافي التي يتصورون انها مفروضة عليهم فرضا . حيث قد يقاوم الفرد التغيير في افكاره واتجاهاته لشعوره أن التغير يعني ضمنيا ان نقصا فيه ، ويكون الدافع لمثل هذا السلوك الحاجة للدفاع عن النفس[٩]» .

(٩) عبدالرحمن عبدالباقي عمر ـ مصدر سابق ص ١٥٤ .

يتاثرون بالاعلام بشكل مباشر فهم قطاع معين من المجتمع ، يقومون بدورهم في احداث التغير في المجتمع كله .

ــ ويقاوم التغير الثقافي اذا لم تستخدم الطرق والاساليب المناسبة لتحريكه وضبطه وتوجيهه . ويمكن ان نجد افرادا كثيرين وقفوا ، في البداية ، موقفا معارضا ازاء فكرة او عقيدة معينة لان طرقا عديدة غير مناسبة استخدمت معهم لاحداث التغيير فيهم ، ولكنهم ، بعد حين ، اصبحوا من اشد المتحمسين والداعين اليها ، بعد استخدام اساليب جديدة في ذلك . كما نجد افكارا وعقائد كثيرة لاقت المقاومة من قبل الكثيرين ثم اصبحت بعد ذلك افكارا وعقائد راسخة في اذهانهم .

ولابد لرجال الاعلام على مستوى التخطيط ام التنفيذ ان يضعوا هذه المعوقات في اعتبارهم ، ولكن لابد من الاشارة هنا الى حقيقة تقول ان الاعلام ــ باعتباره مستوى من مستويات الاتصال ــ يدعم ويعزز في كثير من الاحيان ، الاتجاهات السائدة اكثر مما يعمل على تغييرها ، وحتى لو طرا مثل ذلك التغير فانه يكون طفيفا في الغالب ، اما الذين يتاثرون بالاعلام بشكل مباشر فهم قطاع معين من المجتمع ، يقومون بدورهم في احداث التغير في المجتمع كله .

الفهرست

صدر من الموسوعة الصغيرة

١ ـ العرب والحضارة الاوربية
د . فيصل السامر

٢ ـ فلسفة الفيزياء
د . محمد عبد اللطيف مطلب

٣ ـ الحقيقة الاشتراكية لحزب البعث العربي الاشتراكي
عزيز السيد جاسم

٤ ـ قضايا المسرح المعاصر
سامي خشبة

٥ ـ الصناعات البتروكيمياوية ومستقبل النفط العربي
د . محمد ازهر السماك

٦ ـ الثورة والديمقراطية
صباح سلمان

٧ ـ دانتي ومصادره العربية والاسلامية
عبد المطلب صالح

٨ ـ الطب عند العرب
د . عبداللطيف البدري

٩ ـ انغولا .. الثورة وابعادها الافريقية
حلمي شعراوي

١٠ ـ معالجات تخطيطية لظاهرة التحول الحضري
د . حيدر كمونة

١١ ـ مصادر الطاقة
د . سلمان رشيد سلمان

١٢ ـ التراث العربي كمصدر في نظرية المعرفة والابداع في الشعر العربي الحديث
طراد الكبيسي

١٣ ـ التقدم العلمي والتكنولوجي ومضامينه الاجتماعية والتربوية .
د . نوري جعفر

١٤ ـ الثقافة والتنظيمات الشعبية
عبد الغني عبد الغفور

١٥ ـ العوامل المحفزة لنمو الدخل القومي
د . كاظم حبيب

١٦ ــ فن كتابة الاقصوصة
ترجمة . كاظم سعد الدين

١٧ ــ الاعلام والاعلام المضاد
صاحب حسين

١٨ ــ استثمار المواد الكيمياوية والعضوية الملوثة للبيئة
د . طارق شكر محمود

١٩ ــ مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية
د . هاشم الطعان

٢٠ ــ الانسان :
آخر المعلومات العلمية عنه
ترجمة واعداد :
كاميران قره داغي

٢١ ــ كتابة الشعر في المدارس
ترجمة : ياسين طه حافظ

٢٢ ــ من عصر البخار الى عصر الليزر
د . اسامة النعمان



١٦ ـ فن كتابة الاقصوصة

ترجمة : كاظم سعد الدين

١٧ ـ الاعلام والاعلام المضاد

صاحب حسين

١٨ ـ استخدام المواد الكيمياوية والمشعة الملوثة للبيئة

د . طارق شكر محمود

١٩ ـ [illegible]

د . هاشم النعمان

رقم الايداع في المكتبة الوطنية في بغداد
٧٢٥ لسنة ١٩٧٨

٢٠ ـ الانسان :
آخر المعلومات العلمية عنه

ترجمة واعداد :
كاميران قره داغي

٢١ ـ كتابة الشعر في المدارس
ترجمة : ياسين طه حافظ

٢٢ ـ عن عصر البخار الى عصر الذرة
د . اسامة النعمان



دار الحرية للطباعة بغداد   ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م